رسالة ذمّ لذّات الدنيا

فخر الدين الرازي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الأحد، المصوِّر الصمد، السلام السرمد، لا عُدَد له ولا عَدَدٌ، ولا حدّ لدوامه[١] ولا أمدٌ، ولا كسر لعسكره ولا مددٌ. له العلوُّ والإكرام، والسموُّ والدوام. إكرامه حصّل كلّ مُرادٍ ومرام، وطَوله سهّل الحلالَ وحرّم الحرامَ. أمرُه أدار السماكَ الرامح، وحُكمُه أحكَمَ مُهمَّ السرِّ[٢] الطامح. إعلامه أوصل إلى كلّ سرورٍ، وإلهامه عمَر صدرَ كلِّ مكسورٍ. ثمّ الصلاة على أفاضل خلقه في السموات العلى، وتحت الأرضين السفلى، خصوصاً على محمدٍ نبيّ الرحمة وإمام العصمة والكرامة[٣].

أمّا بعد، فقد سألتَني عن أحوال اللذّات المطلوبة في الدنيا، والكشفَ عن حصرِ أقسامها، وبيانَ ما فيها من الخيرات واللذّات[٤] والراحات والآفات والمخافات. فكتبتُ لك هذا المختصر على سبيل الارتجال. ومن الله التوفيق في جميع الأحوال[٥].

وأقول: إنّ اللذّات المطلوبة في هذه الحياة العاجلة محصورةٌ في أقسامٍ ثلاثة. فأدونها هي اللذّات الحسّيّة، وهي قضاء الشهوتين. وأوسطها اللذّات الخياليّة، وهي اللذّات الحاصلة من الاستعلاء والرئاسة. [م: ١١١أ] وأعلاها اللذّات

---

[١] م: له.

[٢] م: النسر.

[٣] س: "بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله ربّ العالمين. والصلاة على أفضل خلقه في السماوات العلى، وتحت الأرضين السفلى، خصوصاً على محمّدٍ وآله، نبيّ الرحمة، وإمام العصمة والكرامة".

[٤] سقطت من س، م.

[٥] في ل زيادة: قال رضي الله عنه.

العقليّة، وهي[٦] اللذّات[٧] الحاصلة بسبب معرفة الأشياء والوقوف على حقائقها. فهذا ضبطٌ حَسَنٌ معقولٌ[٨] في هذا الباب.

وأيضاً، فسُعود[٩] الإنسانِ في أوّل الأمر إنما يحصل بهذه اللذّات الحسّيّة. ثمّ إذا توغّل فيها، وقضى وطرَه منها، فحينئذ تسمو نفسُه إلى المرتبة الثانية، وهي الاستسعاد باللذّات الخياليّة، وهي الرئاسةُ، ونفاذُ القولِ[١٠]، والأمرُ والنهيُ. فإذا توغّل فيها، ورُزق الوقوفَ على ما فيها من الآفات والبليّات، ترقّى منها إلى المرتبة العالية، وهي طلب اللذّات العقليّة، والاستسعاد بمعرفة هذه[١١] الأشياء بقدر الطاقة البشريّة.

ولمّا وقفتُ على هذا الضبط، فلا جرم رتّبنا[١٢] هذا الكتابَ على ثلاثة أقسامٍ:

فأوّلها: في البحث عن حقائق اللذّات الحسيّة، [ل: ٢٤٥] وبيان ما فيها من الخيرات والآفات.

وثانيها: في البحث عن حقائق اللذّات[١٣] الخياليّة، وهي لذّة الرئاسة والنفاذ، وبيانِ ما فيها من جهات الخير والشرّ.

وثالثها: في البحث عن حقائق اللذّات العقليّة، وهي لذّة العلم والإحاطة بحقائق الأشياء، وبيانِ ما فيها من جهات الرغبة والنفرة.

ونسأل الله الكريم أن يطلعنا على حقائق الأشياء بقدر الطاقة البشريّة.

---

[٦] "اللذات العقلية وهي" سقطت من م.

[٧] "هي اللذات الحاصلة من الاستعلاء والرئاسة وأعلاها اللذات العقلية وهي اللذات" سقطت من س.

[٨] ل: معقول حسن.

[٩] س، م: فشعور.

[١٠] ل: الأمر لقول.

[١١] سقطت من م.

[١٢] س: رتبت.

[١٣] سقطت من س.

فالقسم الأوّل: الكلام في اللذّات الحسّيّة

اعلم أنّ مطالب [م: ١١١ب] الخلق من الأحوال المحسوسة محصورةٌ في نوعين. أحدهما دفعُ الألم، والثاني تحصيل اللذّة.

أمّا دفع الآلام[١٤] الحسيّة، فقد تَوَصَّلوا[١٥] إليه بطُرق. أحدها لبس الثياب؛ وذلك لأنّ جلد الإنسان جلدٌ ناعمٌ لطيفٌ، سريع التأثُّر من الحرّ والبرد؛ فاحتاج في دفع هذا النوع من الإيذاء إلى لبس الثياب. والتحقيق أنّ لبس الثوب[١٦] ضررٌ؛ لأنّه يَصير حمّالاً لتلك[١٧] الثياب؛ وحمل الجسم الثقيل إتعابٌ للبدن. إلاّ أنّ لبس الثوب [س: ١٢٩أ] لمّا دفع تلك المضارّ العظيمة، صار ذلك الضررُ الحاصل من لبس الثوب دافعاً لضررٍ أعظم وأعلى منه[١٨]. فصار تحمُّلُ الضررِ القليل الذي يوجِب دفعَ الضررِ العظيم شبيهاً[١٩] لحصول[٢٠] الخير واللذّة والراحة. وفي الحقيقة، ليس الأمرُ إلاّ ما ذكرنا[٢١]، مِن أنّ حاصله يرجع إلى دفع الضرر الزائد بتحمّل الضرر الناقص.

و[٢٢] مثالُه ما يُحكى أنّ بعض الناس دخل على إبراهيم بن سيّار النظّام المتكلّم، فرآه و[٢٣] في يده قدحٌ من الدواء المرّ البشع الكريه[٢٤]، وكان يشقّ عليه

---

[١٤] ل، س: الالم.
[١٥] ل: يوصل.
[١٦] س: الثياب.
[١٧] ل: لذلك.
[١٨] س: منه وأعلى.
[١٩] س: سبباً.
[٢٠] م: بحصول.
[٢١] س: ذكرناه.
[٢٢] سقطت من ل.
[٢٣] سقطت من س، م.
[٢٤] س: فراه في يده من الدواء المر البشع الكريهة.

جدّاً[٢٥] تناولُه. فسأله عن كيفيّة حاله. فقال: "أصبحتُ في دار بليّات، أدفع آفات بآفات". وهذا الذي قاله النظّامُ كلامٌ كلّيٌّ، و[٢٦] ضابطٌ حَسَنٌ، وقانونٌ مطّرِدٌ في أحوالِ الدنيا.

والطريق الثاني من طرق دفع الآفاتِ بناءُ الدور والمساكن. والمقصود من بنائها أنّ الإنسان خُلِق في مرتعة الآفات وممرّ المخافات. [م: ١١٢أ] فإذا[٢٧] بقي في الصحراء، بقي خائفاً على نفسه وماله وأولاده. فإذا بنى بناءً حصيناً محكَماً، و[٢٨] دخل في تلك الدار، وغلّق على نفسه الأبوابَ، وبالغ في إحكامها، فحينئذٍ يبقى[٢٩] آمناً من [ل: ٢٤٥] بعض الوجوه على نفسه وماله. فكان المقصودُ من بناء الأبنية والدور السعي في دفع الآفات، لا في جلب المنافع. فالملبس والمسكن وُضِعا[٣٠] لدفع الآفة، لا لجلب المنفعة.

فأمّا الطرق الموصلة إلى تحصيل اللذّات، فهي محصورةٌ في قضاء شهوة البطن وقضاء شهوة[٣١] الفرج؛ وليس لهما ثالثٌ البتّة. ونحن ننبّهك على ما فيهما[٣٢] من الدناءة والخساسة وسقوط الحال[٣٣] والتشبّه بالبهائم الخسيسة.

وأقول، قبل الخوض[٣٤] في بيان تلك التفاصيل: إنّ الخطباء والشعراء والفصحاء، إذا أرادوا الخوضَ في تحقير أمر الدنيا وبيان سقوطها ودناءتها، رجع[٣٥] حاصلُ

---

[٢٥] س: حدّه.

[٢٦] سقطت من ل.

[٢٧] ل: فلو.

[٢٨] سقطت من ل.

[٢٩] م: يكون.

[٣٠] س: وضع.

[٣١] "قضاء شهوة" سقطت من س.

[٣٢] س: فيها.

[٣٣] س: حال. م: المروءة.

[٣٤] ل: للخوض.

[٣٥] م: يرجع.

كلامهم، بعد التطويلات العظيمة، إلى مقدّمات قليلة.

فأحدها أنهم يقولون: "إنها غير باقية، بلْ هي منقضيةٌ فانيةٌ. فوجب على العاقل[٣٦] أن لا يغترّ بها." واعلم أنّ هذا كالإشارة[٣٧] إلى أنها في نفسها طيّبةٌ لذيذةٌ؛ إلاّ أنها لمّا كانت سريعةَ الانقراض والانقضاء[٣٨]، وجب على العاقل الاحترازُ عنها[٣٩].

وثانيها أنهم[٤٠] قالوا: "إنّ طيّباتها ممزوجةٌ بالآلام[٤١]، وراحاتها مخلوطةٌ بالجراحات". وهذا أيضاً يدلّ على أنهم يعتقدون فيها أنها طيّباتٌ وسعاداتٌ، إلاّ أنها لمّا كانت [م: ٢١١ب] ممزوجةً بالآفات، مخلوطةً بالمخافات، وجب على العاقل الاحترازُ عنها.

وثالثها أنهم يقولون: "إنّ الأراذل من الناس قد [س: ١٢٩ب] يشارِكون الأفاضلَ في تلك اللذّات والراحات؛ بل الغالب أنّ الأراذل تزيد أحوالهم على أحوال[٤٢] الأفاضل في هذه الخيرات الحسّيّة واللذّات الجسدانيّة زيادةً فاحشةً عظيمةً؛ فوجب[٤٣] الاحترازُ عنها". وهذا أيضاً يدلّ على أنهم يعتقدون أنّ هذه اللذّات خيراتٌ وسعاداتٌ؛ إلاّ أنّ كونَ الأراذل مشارِكين للأفاضل فيها[٤٤] وزائدين عليهم في درجاتها ممّا يوجِب الفرارَ منها، لخسّة الشركاء[٤٥].

---

[٣٦] س: فوجب للعاقل.
[٣٧] س: كاشارة.
[٣٨] ل: الانقضاء والانقراض.
[٣٩] م: عن التعلّق بها.
[٤٠] سقطت من س.
[٤١] ل، س: الالم.
[٤٢] س: حال.
[٤٣] ل: يوجب.
[٤٤] س: فيها للأفاضل.
[٤٥] "لخسّة الشركاء" سقطت من س، ل.

فهذه مجامع مِن[٤٦] كلام الفصحاء والخطباء في تقبيح أحوال الدنيا. وهي بأسرها تدلّ على أنّها في أنفسها طيّباتٌ وخيراتٌ، إلاّ أنّه يجب تركُها والإعراضُ عنها، لأجل أنّه يلزمها هذه اللوازم الثلاثة المكروهة[٤٧]. وأمّا الحكماء، فإنّهم بيّنوا أنّ هذه الأحوال ليست في أنفسها سعاداتٍ [ل: ٢٤٧] ولا خيراتٍ، بل هي أحوالٌ خسيسةٌ ومطالب دنيئةٌ في ذواتها.

وإذا كان الأمر كذلك، وجب علينا أن نرتّب الكلامَ في هذا الباب على مقامين. أحدهما في بيان[٤٨] أنّ هذه الأحوال خسيسةٌ بحسب ماهيّاتها وذواتها. والثاني في بيان[٤٩] أنّ بتقدير كونها أحوالاً شريفةً، إلاّ أنّها لا بُدّ وأن يلزمها لوازم مكروهةٌ.

أمّا المقام الأوّل، فنقول: في تقرير[٥٠] هذا المطلوب طريقان. أحدهما: أنّ هذه الأحوال التي يُظَنّ أنّها لذّاتٌ، فهي في الحقيقة ليست بلذّات، وإنّما حاصلها يرجع إلى دفع الآلام. الثاني[٥١]: بيانُ أنّها، وإن كانت لذّاتٍ، إلاّ أنّها [م: ١١٣أ] لذّاتٌ خسيسةٌ حقيرةٌ جدّاً.

أمّا النوع الأوّل من البيان، فتقريرُه من وجوه.

الأوّل: إنّا رأينا أنّ[٥٢] الإنسان كلّما كان أكثر جوعاً وأشدّ احتياجاً إلى الأكل، كان التذاذُه[٥٣] بالأكل أتمّ؛ وكلّما كان عهدُه بالوقاع أطول، كان

---

[٤٦] سقطت من ل، م.
[٤٧] س: المكروهة الثلاثة.
[٤٨] "في بيان" سقطت من م.
[٤٩] م: وثانيهما بيان.
[٥٠] س: تقدير.
[٥١] س: الآم والثاني.
[٥٢] سقطت من ل، م.
[٥٣] ل: الالتذاذ.

التذاذُه[٥٤] به أكملَ. ولا شكّ أنّ الجوعَ ألمٌ[٥٥] شديدٌ. وأيضاً، الاحتياج الشديد إلى الوقاع ألمٌ. فلمّا رأينا أنّه كلّما كانت هذه الآلامُ أشدّ وأشقّ، كان دفعها[٥٦] ألذّ وأطيب، غلَب على الظنّ أنّه لا معنى لهذه اللذّات والراحات إلاّ مجرّد دفع تلك الآلام السابقة[٥٧].

ألا ترى أنّ مَن جلَسَ في الحمّام الحارّ، وغلب استيلاءُ تلك الحرارة عليه، فإذا فتَح البابَ، ودخل من[٥٨] ذلك الباب نسيمٌ باردٌ، فإنّ[٥٩] ذلك الإنسان يستلذّ بذلك[٦٠] الهواء البارد استلذاذاً[٦١] في الغاية! وإذا أكل طعاماً غليظاً وعطش جداً، فإذا شرب الماءَ المبرّدَ بالثلج، فإنّه يجد منه لذّةً عظيمةً كاملةً! وما ذاك إلاّ لأنّه[٦٢] عَظُمَ تألّمُه بسبب الهواء الحارّ الذي في[٦٣] الحمام، وعَظُمَ تألّمُه بسبب أكل ذلك الطعام الغليظ. فلمّا وصل إليه الهواءُ البارد، زال عنه [س: ١٣٠أ] تلك الحرارةُ المؤلمة. ولمّا شرب الماءَ البارد، زال عنه ذلك العطشُ المؤلم. فبقدر[٦٤] الضرر الحاصل من تلك الحرارة تحصل اللذّةُ بسبب استنشاقِ ذلك الهواء البارد وشُربِ ذلك الماء البارد.

فعَلِمنا أنّه لا حاصل لهذه اللذّات الحسّيّة إلاّ دفع هذه الآلام والأوجاع. وذلك

---

[٥٤] ل: الالتذاذ.

[٥٥] ل: ألم الجوع.

[٥٦] ل: كان هذا الألم ... كان دفعه.

[٥٧] ل: تلك الالم السابق.

[٥٨] ل: في.

[٥٩] ل: كان.

[٦٠] ل، م: ذلك.

[٦١] سقطت من س.

[٦٢] س، م: انه.

[٦٣] م: الحارة في.

[٦٤] م: فبتضرّر.

يدلّ على أنّ هذه[٦٥] الأحوال التي نتخيّل أنها لذّاتٌ، فهي في أنفسها ليست لذّات، بل لا [م: ١١٣ب] حاصل لها إلاّ دفع الآلام والأوجاع. بل نقول: الإنسان إذا أراد قضاءَ الحاجة من البول والغائط، فربما تعذَّر عليه ذلك[٦٦] لأسباب اتّفاقيّة[٦٧] من خارج؛ وحينئذ[٦٨] يعظم ألمُه[٦٩] بسبب [ل: ٢٤٨] إمساك تلك الفضلات. ثمّ بعد تلك[٧٠] الآلام الشديدة، إذا قدر على دفعها، وَجَد لذّةً عظيمةً[٧١] وراحةً كاملةً. وكلّما كان تألّمُه بسبب إمساكها أشدَّ، كان التذاذُه بدفعها أكمل؛ حتى أنّ كثيراً من الناس قالوا: "هذه اللذّة أقوى من لذّة الأكل والشرب والبعال[٧٢]". وذلك يدلّ على أنّه لا حاصل لهذه اللذّات إلاّ دفع الآلام.

الوجه الثاني في بيان المطلوب الذي ذكرناه أنّ من المعلوم بالبديهة أنّه كلّما كانت[٧٣] شهوة الفوز[٧٤] بالشيء أقوى وأكمل، كانت اللذّةُ الحاصلة بسبب وجدانه أقوى وأكمل[٧٥]. فإن لم تحصل تلك الشهوة، لم تحصل اللذّةُ بسبب وجدانه البتّة[٧٦].

ألا ترى أنّ مَن رمى قلادةً مِن[٧٧] الدرّ الثمين[٧٨] إلى كلبٍ، ورمى عظماً إلى

---

[٦٥] سقطت من س.

[٦٦] ل: ذلك عليه.

[٦٧] س: للأسباب العايقة.

[٦٨] س: فحينئذ.

[٦٩] ل: ألم.

[٧٠] س: ذلك.

[٧١] سقطت من ل.

[٧٢] س: الفعال. والبعال: النكاح.

[٧٣] ل، م: كان.

[٧٤] س: القوم.

[٧٥] س: وجدانه أتم.

[٧٦] "فإن لم تحصل تلك الشهوة لم تحصل اللذة بسبب وجدانه البتة" ساقطة من س.

[٧٧] سقطت من م.

[٧٨] سقطت من س.

إنسان، فإنّه لا تحصل اللذّةُ لواحد منهما؛ لأنّ الكلب لا يشتهي الدرَّ، والإنسانَ لا يشتهي العظمَ. أمّا لو قَلَبتَ القضيّةَ[٧٩]، ورميتَ القلادة من الدرّ[٨٠] إلى الإنسان، عظم فرحُه بها وعظمت لذّتُه لوجدانها[٨١]. ولو رَميتَ العظمَ إلى الكلب[٨٢]، عظم فرحُه بوجدانه. فثبت أنّه[٨٣] كلّما كانت الحاجةُ إلى الشيء[٨٤] أشدّ، وكانت شهوةُ وجدانه أتمّ وأكمل، كان الفوزُ به ألذّ. وإذا ثبت هذا، فمقدار[٨٥] اللذّة الحاصلة في الحال مساويةٌ لمقدار المضرّة الحاصلة بسبب الاحتياج إليه في الماضي. وإذا كان الأمرُ كذلك، فحينئذ تتقابل اللذّةُ الحاصلة في الحال بالألم الحاصل في الماضي. وإذا تقابلا، تساقطا، وصار كأنّه لم يوجد البتّة. مثالُه أنّ من مزّق بطنَ [م: ١١٤أ] إنسان، ثمّ أخذ يعالجه بالخياطة ووضع المراهم عليها، فإنّ ذلك لا يُعدّ لذّةً ولا سعادةً، بل يُعدّ مثلُ هذا الفعل جارياً مجرى العَبث. فكذلك[٨٦] ها هنا.

الوجه الثالث في بيان أنّ هذه اللذّات الحسّيّة خسيسةٌ جداً؛ وذلك أنها[٨٧] بأسرها لا تحصل إلاّ بواسطة مخامَرَة[٨٨] رطوبات عفنة منتنة مستحيلة مستقذَرة[٨٩]. أمّا لذّة الأكل، [س: ١٣٠ب] فالأمر[٩٠] فيها ظاهرٌ. لأنّ الإنسان لا يلتذّ بالطعام، إلاّ إذا وَضعه في فمه. ولا شكّ أنّ ذلك الطعام في تلك الساعة يمتزج بريق الفم ويختلط به؛ ولا شكّ أنّه في نفسه شيءٌ مستقذَرٌ.

[٧٩] ل: القصة.
[٨٠] "من الدر" سقطت من س، م.
[٨١] س، م: بوجدانها.
[٨٢] م: كلب.
[٨٣] س: ان.
[٨٤] س: شيء.
[٨٥] م: ثبت أن مقدار.
[٨٦] م: فكذا.
[٨٧] ل: لانها.
[٨٨] ل: مجاورة.
[٨٩] س: الرطوبات العفنة المنتنة المستحيلة المستقذَرة.
[٩٠] ل: فالألم.

والدليل عليه أنّ تلك اللقمة الممضوغة لو سقطت من الفم، فإنّ الإنسان يستقذرها، ولا يمكنه أن يردّها [ل: ٢٤٩] إلى فمه. وذلك يدلّ على أنّ اللذّة الحاصلة من الطعام لا تحصل إلاّ عند انعجان ذلك الطعام واختلاط أجزائه بتلك الرطوبات الفاسدة المستقذَرة.

وأيضاً، إنّ الإنسان إذا تناول الأطعمةَ المختلفة، وشربَ عليها الماءَ والفُقَّاع[٩١]، فإنّه تختلط[٩٢] تلك الأشياءُ بعضها بالبعض[٩٣] في المعدة، وكانت المعدةُ محتويةً قبل وصول[٩٤] الطعام إليها[٩٥] على أجزاءٍ كثيرةٍ من الصفراء والسوداء والبلغم، فيحصل في المعدة جسمٌ ثخينٌ من اختلاط تلك المطعومات والمشروبات ومن اختلاط السوداء والصفراء والبلغم بها. ولا شكّ أنّه جسمٌ في غاية الاستقذار والعفونة[٩٦].

وكذلك، فإنّ[٩٧] الإنسان إذا قاء، فإنّ ذلك القيء[٩٨] يكون في غاية الاستقذار[٩٩]. والشبع التامّ لا يحصل إلاّ عند احتواء المعدة على هذا الجسم[١٠٠]. فثبت أنّ اللذّة الحاصلة عند الأكل لا تحصل إلاّ عند اختلاط أجزاء[١٠١] الطعام [م: ١١٤ب] بالبُزاق والمخاط، وأنّ اللذّة الحاصلة عند الشبع لا تحصل إلاّ عند احتواء المعدة على ذلك الجسم المستقذَر المستخبَث.

---

[٩١] الفقّاع شرابٌ يتّخذ من الشعير، سمي به لما يعلوه من الزبد.
[٩٢] م: ثم اختلط.
[٩٣] س: ببعض.
[٩٤] م: حلول.
[٩٥] "قبل وصول الطعام إليها" ساقطة من ل.
[٩٦] ل: في العفونة.
[٩٧] م: فلذلك إن.
[٩٨] سقطت من م.
[٩٩] "وكذلك فإن الإنسان ... الاستقذار" ساقطة من ل.
[١٠٠] في م زيادة: المستقذر.
[١٠١] س: الأجزاء من.

فثبت بهذه البيانات أنّ هذه اللذّات الحسّيّة لا تحصل إلاّ عند مخامَرَة الرطوبات العفنة القذرة. وذلك يدلّ على أنّ هذه اللذّة في غاية الخساسة[١٠٢]، وأنّ العاقل إنما يُقدِم على الأكل، لا لأجل أنّه يعدّه سعادةً وبهجةً، بل[١٠٣] لأجل أنّه خُلق محتاجاً إليه. ولولا الاحتياج إليه، لما أَقدم عليه. ورأيتُ أنّ عبد القاهر النحويّ أنشأ هذا البيت:

لولا قضاءٌ جرى نَزَّهتُ أنملَتِي عن[١٠٤] أن تُلِمّ بمأكولٍ ومشروبِ[١٠٥]

وأمّا لذّة الوقاع، فخساستها أظهر من أن تحتاج إلى البيان. والذي يدلّ عليه أنّ أخسّ أعضاءِ الإنسان هو هذه الأعضاء المخصوصة. ولذلك، فإنّ طبائعَ جميع الخلق[١٠٦] وبدائهَ عقولهم تحملُهم على سترِ هذه الأعضاء وإخفائها عن عيون الناظرين؛ حتى[١٠٧] أنّ جماعةَ الهنود والزنوج الذين جرت عادتهم بأنهم لا يلبسون الثيابَ، و[١٠٨] يطوفون عراةً في الأسواق، فإنهم يستُرون هذه الأعضاء. وذلك يدلّ على[١٠٩] شهادة العقول بأنّ هذه الأعضاء أخسّ [س: ١٣١أ] أعضاء الإنسان.

ثمّ إنّ لذّة المواقَعة[١١٠] لا تتمّ إلاّ بمماسّة هذه الأعضاء. وأيضاً[١١١]، فهذه المماسّة لا تفيد اللذّة إلاّ عند التلطّخ بتلك الرطوبات المتولّدة في داخل تلك الأعضاء. وتمام اللذّة [ل: ٢٥٠] إنما يحصل بانفصال النطفة؛ وهي أيضاً رطوبةٌ عفنةٌ

---

[١٠٢] ل: للخساسة.

[١٠٣] س: لكن.

[١٠٤] ل: من.

[١٠٥] من البحر البسيط.

[١٠٦] ل: الخلايق.

[١٠٧] س: حُكى.

[١٠٨] سقطت من س.

[١٠٩] في م زيادة: أن.

[١١٠] س: اللذة الموافقة.

[١١١] سقطت من م.

قذرةٌ خسيسةٌ. وكلّ ذلك يدلّ على أنّ هذه اللذّات لا تحصل إلاّ بالتلطّخ بهذه الرطوبات العفنة القذرة الخسيسة[١١٢]. وذلك يدلّ على[١١٣] أنها [م: ١١٥أ] ليست من جنس الخيرات واللذّات والسعادات. بل الإنسان يصير كالملجأ إليها والمضطرّ إلى مباشرتها. فإذا دَفَع تلك[١١٤] الآلام والأوجاع، تخلّصَ منها واستراح، بسبب إزالة تلك[١١٥] المؤذيات؛ فيظنّ أنها لذّاتٌ وخيراتٌ[١١٦].

وممّا يدلّ عليه أنّ الرجل إذا احتُبِس في موضع لا يمكنه القيامُ إلى الخلاء، وصار مضطرّاً إليه، وأنّه بالتكلّف الشديد يمسك الطَّبيعةَ، فإنّه يقع في مشقّة شديدة وبلاءٍ عظيم. فإذا تمكّن من الذهاب إلى الخلاء، وقدر على دفع تلك الخبائث، وجد لذّةً عظيمةً عند دفعها وإرسالها. ومعلومٌ أنّه لا معنى لتلك اللذّة إلاّ إزالة تلك المؤلمات. فكذا ها هنا. فثبت أنّ هذه الأحوال إمّا أن لا تكون لذّاتٍ، أو[١١٧] إن كانت لذّات، فهي في غاية الخساسة ونهاية القذارة.

و[١١٨] **الوجه الرابع** في بيان خساسة هذه الأحوال: الاستقراء الدالّ على إطباق جميع العقلاء على هذه المقدّمة. أمّا إطباقهم[١١٩] على تحقير لذّة الأكل؛ وذلك لأنهم إذا شاهدوا إنساناً كثيرَ الأكل عظيم الرغبة في اللقمة، استحقروه ونظروا[١٢٠] إليه بعين الإزراء والإهانة، وحكموا عليه بالبهيميّة. ولذلك قالوا: "البطنة تُذهب الفطنةَ". ولو علموا أنّ إنساناً صفتُه أنّه جعل أيّامَه وأوقاته مقصورةً على إعداد

---

[١١٢] م: الخسيسة القذرة.

[١١٣] "يدل على" سقطت من س.

[١١٤] ل: ذلك.

[١١٥] ل: ذلك.

[١١٦] م: خيرات ولذات.

[١١٧] س: و.

[١١٨] سقطت في س.

[١١٩] "على هذه المقدّمة أمّا إطباقهم" سقطت من م.

[١٢٠] س: نظروه.

المأكولات والمشروبات، فإنهم يستحقرونه ويذمّونه[١٢١] ولا يقيمون له وزناً البتّة. أمّا إذا اعتقدوا في إنسانٍ أنّه يقلّل من الأكل والشرب، وأنّه لا يَلتفت إليه ولا يقيم له وزناً، فإنهم يعظّمونه وينقادون له ويعتقدون فيه أنّه من زمرة الملائكة. وهذا يدلّ على أنّ فطرة جميع الخلق شاهدةٌ بأنّ هذه الأحوال خسيسةٌ.

وأمّا إطباقهم على تحقير لذّة الوقاع، فمن وجوه[١٢٢]. [م: ١١٥ب]

الأوّل: إطباق الكلّ على أنّ الألفاظ الدالّة على أحوال الوقاع يجعلونه من أعظم[١٢٣] أنواع الشتم والإهانة والإيذاء. وذلك يدلّ على إطباقهم [ل: ٢٥١] على تحقير شأن هذه اللذّات.

و[١٢٤] الثاني: إنّ كلّ عاقلٍ، فإنّه[١٢٥] يستحيي من الإقدام على الوقاع[١٢٦] بحضور الناس، بل يسعى في إخفائه وتبعيده [س: ١٣١ب] عن أعين الناس. والعاقل إنما يستحيي من إظهار الفعل القبيح، ولا يستحيي من إظهار الفعل[١٢٧] الحسن. فإطباقُهم على إخفائه يدلّ على كونهم مطبقين على أنّه من الأفعال القبيحة. فثبت بما ذكرنا[١٢٨] إطباقُ العقلاء على أنّ لذّات[١٢٩] الأكل والوقاع أحوالٌ خسيسةٌ حقيرةٌ لا يُلتفَت إليها البتّة.

الوجه الخامس في بيان خساسة هذه الأحوال أن نقول: أمّا اللذّة الحاصلة عند الأكل، فهي لذّةٌ ضعيفةٌ جداً. وكمالها إنما يحصل[١٣٠] في اللقمة الأولى والثانية عند

---

[١٢١] س: يستحقروه ويذموه.
[١٢٢] م: وجهين.
[١٢٣] ساقطة من س.
[١٢٤] سقطت من س.
[١٢٥] سقطت من ل.
[١٢٦] "على الوقاع" ساقطة من س.
[١٢٧] ساقطة من م.
[١٢٨] في ل زيادة: أن.
[١٢٩] ل: لذة.
[١٣٠] ل: أنها تحصل.

حصول الجوع الشديد. فإذا فتَر الجوعُ، قلّت[١٣١] الرغبةُ؛ فضَعُف الالتذاذُ بالأكل. فثبت أنّ زمان حصول[١٣٢] هذه اللذّة زمانٌ قليلٌ.

ولذلك فإنّ[١٣٣] الناس يقولون: "إنّ الله تعالى رَفَع اللذّةَ عن أطعمة الأغنياء، وأودعها في أطعمة الفقراء". والسبب فيه أنّ الأغنياء لا يشتدّ جوعهم ولا تكمل حاجتهم؛ فلا جرم يقلّ التذاذهم بالطعام. وأمّا الفقراء فإنّه تشتدّ[١٣٤] حاجتُهم ويقوى جوعُهم؛ فلذلك يعظم التذاذهم بتناول تلك الأطعمة. وإذ قد[١٣٥] عرفتَ هذا، فنقول: اللذّة الحاصلة بالأكل حقيرةٌ من وجوه:

الأوّل أنّ هذه اللذّة لا تحصل[١٣٦] إلاّ في أوائل الأكل عند قيام الجوع الشديد والحاجة القويّة. فإذا ضعف الجوعُ، وقلّت الحاجةُ، ضعفت اللذّةُ.

الثاني أنّ [م: ١١٦أ] موضع حصول هذه اللذّة ليس إلاّ سطح الفم. فإذا انحدر منه إلى المريء، سقطت اللذّةُ.

و[١٣٧] الثالث أنّ لذّة الأكل في نوعها ليست حالةً قاهرةً، بل هي لذّةٌ ضعيفةٌ. فثبت أنّ هذه اللذّة حقيرةٌ من هذه الجهات[١٣٨].

وأمّا لذّة[١٣٩] الوقاع، فهي حقيرةٌ من وجوه. الأوّل[١٤٠] أنّ هذه اللذّة لا تحصل إلاّ في وقت الإنزال وانفصال النطفة. وأمّا[١٤١] الأحوال[١٤٢] السابقة على هذه

---

[١٣١] ل: وقلت. م: فاتت.

[١٣٢] ساقطة من س.

[١٣٣] س: ان.

[١٣٤] ل: فتشتد.

[١٣٥] س، م: واذا.

[١٣٦] م: تكمل.

[١٣٧] سقطت من س، م.

[١٣٨] ل: للجهات.

[١٣٩] سقطت من م.

[١٤٠] م: أولها.

[١٤١] م: فأما.

[١٤٢] س: احوال.

الحالة، فهي حركاتٌ متعبةٌ[١٤٣]. وأمّا الأحوال الحاصلة بعد هذه الحالة، فهي ضعفُ القلب، وخفقان الفؤاد، واستيلاء العفونة على كلّ البدن. وبالجملة، فالأحوال السابقة والأحوال المستقبلة كلّها منفِّرةٌ متعبةٌ. فأمّا [ل: ٢٥٢] الحالة[١٤٤] المطلوبة، فما هي إلاّ الحالة التي يحصل فيها الإنزالُ؛ وهي حالةٌ سريعةُ الانقراضِ والانقضاء، كأنّها الآنُ الذي لا يَنقسم. فثبت بما ذكرنا أنّ هاتين اللذّتين ضعيفتان[١٤٥] جدّاً.

وأمّا الآلام البدنيّة الحاصلة، فالأمر فيها بالعكس. وذلك لأنّ موضع اللذّتين ليس إلاّ العضوان المعيّنان؛ أمّا موضع الألم، فكلّ واحد من الأعضاء فهو قابلٌ لأعظم الآلام. فمنها الصداع القويّ، والشقيقة الشديدة[١٤٦]، ومنها أوجاع العين والأذن [س: ١٣٢أ] والسنّ، ومنها السرطانات الواقعة المهلكة في الأعضاء المختلفة، ومنها أوجاع القولنج، ومنها البواسير، ومنها أسر البول[١٤٧]، ومنها أوجاع الكلية. فظهر[١٤٨] بما ذكرنا أنّ جميع الأعضاء مستعدّةٌ[١٤٩] لقبول هذه الآلام، وليس جميعُ الأعضاء قابلةً لحصول اللذّات.

وأيضاً، فهذه الآلام قاهرةٌ قويّةٌ مستعليةٌ. وقد تبلغ [م: ١١٦ب] في القوّة إلى حيث توجب الموتَ. وأيضاً، فقد تدوم – والعياذ بالله — أيّاماً وليالي. وأمّا لذّات[١٥٠] الأكل والشرب، فهي سريعة الانقضاء والانقراض.

فثبت أنّ جانب المحن والآفات[١٥١] في هذه الآلام الجسمانيّة غالبةٌ على اللذّات

---

[١٤٣] م: متعقّبة.

[١٤٤] م: الأحوال.

[١٤٥] س: هذين اللذتين ضعيفان.

[١٤٦] سقطت من م.

[١٤٧] س: ومنها عسر البول ومنها البواسير. م: ومنها أسر البول ومنها البواسير.

[١٤٨] س: وظهر.

[١٤٩] م: مشعرة.

[١٥٠] م: لذة.

[١٥١] س: والالافات.

الجسمانيّة. نعم، الغالب على الخلق هو السلامة من[١٥٢] هذه الآفات! إلاّ إنّ السلامة عنها[١٥٣] غيرٌ، وحصول اللذّة غيرٌ. ونحن ندّعي أنّ جانب الألم أقوى من جانب اللذّة في الكيفيّة والكمّيّة والمحلِّ. أمّا[١٥٤] جانب السلامة، فإنّه أزيد من جانب الألم.

فثبت بما ذكرنا أنّ هذه اللذّات قليلةٌ مستحقَرةٌ بالنسبة إلى الآفات.

الوجه[١٥٥] **السادس** في بيان أنّ[١٥٦] هذه اللذّات حقيرةٌ جدّاً: وذلك أنّ[١٥٧] اللذّات الجسمانيّة المرغوب فيها كثيرةٌ جدّاً، والحاصل ها هنا[١٥٨] منها ليس إلاّ القليل القليل[١٥٩]؛ وذلك يوجِب التعبَ الشديد. أمّا بيان أنّ الموجِب لها كثيرٌ أن نقول: إنّ الإنسان يُبصِر بعينه جميعَ ما في هذا[١٦٠] العالم من المحسوسات[١٦١]؛ وإذا أبصر شيئاً، فقد يَميل طبعُه إليه؛ فيصير ذلك سبباً لاشتداد رغبته في تحصيله.

مثاله إذا رأى فرساً جواداً[١٦٢]، فإنّه كما رآه[١٦٣] مال طبعُه إليه. وإذا رأى ثوباً حسناً، مال طبعُه إليه. وكذلك القول في جميع مبصَرات هذا العالم. ومعلومٌ أنّ البصر عضوٌ [ل: ٢٥٣] دَوّارٌ على أكثر موجودات هذا العالم. وأمّا القوّة

---

[١٥٢] م، س: عن.
[١٥٣] سقطت من م.
[١٥٤] س: واما.
[١٥٥] ل: والوجه.
[١٥٦] ساقطة من س.
[١٥٧] م: لأن.
[١٥٨] "ها هنا" ساقطة من س، م.
[١٥٩] ساقطة من ل.
[١٦٠] سقطت من م.
[١٦١] م: في العالم من المبصرات.
[١٦٢] ل: جودا.
[١٦٣] كذا في ل، م. "كما رآه" ساقطة من س.

السامعة، فكذلك؛ لأنّه[١٦٤] إذا سمع أنّ الرجل الفلانيّ فاز بالدولة والرفعة، مال طبعه إلى تحصيلها. فإذا لم يقدر على الفوز به، تأذّى وتألّم قلبُه. وإذا سمع بأنّ[١٦٥] الرجل الفلانيّ ذَكَره[١٦٦] بالسوء والقبيح، تألّم قلبُه.

وبالجملة، فالقلب [م: ١١٧أ] يجري مجرى مرآة منصوبة على جدار، وكان ذلك الجدار ممرّاً لأكثر موجودات[١٦٧] هذا العالم. فكلّما[١٦٨] مرّ به شيءٌ، ظهر[١٦٩] من ذلك الشيء فيه أثرٌ. فإن كان موافقاً له[١٧٠]، مال طبعُه إليه. وإن[١٧١] لم يقدر على تحصيله، تألّم قلبُه. وإن نفر طبعُه عنه، و لم يقدر على دفعه، تألّم قلبُه. فثبت بهذا الطريق أنّ قلبه لا بدّ وأن يكون مستغرقاً أبداً في الآلام والهموم والغموم. وأمّا الفرح، فذاك إنما يحصل إذا حصّل المطلوبَ ودَفَع [س: ١٣٢ب] المكروهَ. وذلك[١٧٢] قليلٌ قليلٌ، في جنب كثيرٍ كثيرٍ.

فثبت أنّ الغالب على أهل هذا العالم هو الغموم والهموم[١٧٣] والأحزان. وأمّا اللذّة والخير[١٧٤]، فقليلةٌ جداً. ومن المعلوم أنّ النادر في[١٧٥] جنب الراجح، كالمعدوم

---

[١٦٤] سقطت من م.

[١٦٥] م: أن.

[١٦٦] ل: ذكر.

[١٦٧] م: الموجودات.

[١٦٨] م: وكلما.

[١٦٩] س: فيظهر.

[١٧٠] سقطت من م.

[١٧١] س، م: فان.

[١٧٢] س: وذاك.

[١٧٣] س، م: الهموم والغموم.

[١٧٤] ساقطة من س.

[١٧٥] "حكم" زائدة في ل.

بالنسبة إلى الموجود. فثبت أنّ الغالب على أحوال[١٧٦] هذا العالم إنما هو الشرور والآفات. والله أعلم[١٧٧].

القسم الثاني: الكلام في اللذّات الخياليّة، وهي لذّة الرئاسة والجاه[١٧٨]

واعلم أنّ الكلام في التنبيه على قبائحها[١٧٩] من وجهين. الأوّل[١٨٠] أن نبيّن أنها لا تحصل إلاّ بتحمّل المتاعب العظيمة والمشاقّ غير المتناهية[١٨١]. والثاني أن نبيّن أنها في نفسها[١٨٢] ليست من المطالب الشريفة العالية، بل من المطالب الخسيسة الواهية[١٨٣].

الفصل الأول: في بيان أنّ هذا المطلوب يمتنع خلوُّه عن[١٨٤] الآفات والمتاعب، وبيانه من وجوه.

الأوّل: أنّ كلّ أحد يحبّ أن يكون هو الرئيس للغير، وأن يكون كلّ ما[١٨٥] سواه تحت قدرته وتحتً[١٨٦] تصرّفه وحُكمه. وذلك لأنّ كون الإنسان قادراً على

---

[١٧٦] م: أهل.

[١٧٧] "والله أعلم" ساقطة من س.

[١٧٨] ساقطة من س، م.

[١٧٩] م: قبحها.

[١٨٠] م: أحدهما.

[١٨١] س، م: الغير المتناهية. و"الغير" سقطت من ل.

[١٨٢] ل: أنفسها.

[١٨٣] سقطت من س، م.

[١٨٤] م: من.

[١٨٥] م: من.

[١٨٦] سقطت من ل.

الغير، نافذَ التصرّف فيه، صفةُ كمالٍ؛ وصفة الكمال محبوبةٌ لذاتها. وكونه[١٨٧] مقدوراً للغير، ومحلاًّ[١٨٨] لتصرّف الغير، صفةُ[١٨٩] [م: ١١٧ب] نقصٍ؛ وصفة النقص مبغوضةٌ لذاتها. فثبت أنّ طبع[١٩٠] كلّ أحدٍ يحملُه على[١٩١] أن يكون هو الرئيس لغيره والمتصرّف[١٩٢] [ل: ٢٥٤] في غيره، وأن يمنع غيرَه من أن يكون رئيساً له[١٩٣] وحاكماً عليه. وإذا كان كذلك، فالساعي في تحصيل الرئاسة لذلك الإنسان المعيّن، ليس إلاّ ذلك الإنسان. وأمّا كلّ مَن سواه، فإنهم يسعون في إبطال تلك الرئاسة وفي إعدامها. وإذا كان كذلك، فذلك الإنسانُ الواحد هو الساعي في حصول تلك الرئاسة له[١٩٤]؛ وأمّا جميع الخلق من أهل المشرق والمغرب، فكلّهم يسعون في إبطالها ودفعها وإعدامها. وإذا كان كذلك، كان الساعي[١٩٥] في تحصيل هذا المطلوب في غاية القلّة، لأنّه لا أقلّ من الواحد؛ والساعي في إبطاله ودفعه في غاية الكثرة، لأنّه ثبت أنّ كلّ مَن سوى ذلك الواحد، فهو يدفع عن[١٩٦] تلك الرئاسة ويُبطِل ذلك التقدّمَ.

والمطلوب الذي يَقلُّ الساعي في تحصيله، ويَكثر الساعي في إبطاله، يكون صعبَ الحصول جدّاً. وكلّ ما كان كذلك، كان السعي[١٩٧] في طلبه منشأَ الغموم

---

[١٨٧] م: كونها.

[١٨٨] س: محلّلاً.

[١٨٩] سقطت من ل.

[١٩٠] سقطت من س.

[١٩١] سقطت من س.

[١٩٢] س، م: وهو المتصرف.

[١٩٣] سقطت من م.

[١٩٤] سقطت من س.

[١٩٥] في ل كلمة فوق السطر غير واضحة، كأنها "السعي".

[١٩٦] سقطت من ل، م.

[١٩٧] س: الساعي.

والهموم[١٩٨] والأحزان التي لا حدّ[١٩٩] لها، وكان صريح العقل مانعاً من طلبه، وحاكماً بوجوب الاحتراز عنه.

فإن قيل: "كيف تقول: "إنّ رئاسة الإنسان المعيّن لا يسعى في تحصيلها إلاّ ذلك الإنسانُ[٢٠٠] المعيّن"، ونحن نشاهد العالَم من الخلقِ يُعينون الرجلَ الواحد على طلبِ الرئاسة[٢٠١] لنفسه، ويبذلون الأَرواحَ والأَموال[٢٠٢] في تلك[٢٠٣] الإعانة؟"

فالجواب[٢٠٤]: إنّ أولئك الأعوان والأنصار إنما [س: ١٣٣أ] يكونون موصوفين بالإعانة والنصرة بشرط أمرين. أحدهما أن يكونوا آيسين عن طلب ذلك المنصب لأنفسهم. فإنهم متى تخيّلوا أنّه يمكنهم تحصيلُها لأنفسهم، تركوا الإعانةَ والنصرةَ، وصاروا من أشدّ الناس عداوةً لذلك الطالب. الثاني[٢٠٥] [م: ١١٨أ] أن يَتوسّلوا بتلك الإعانة والنصرة إلى تحصيل منفعة لأنفسهم، بحيث لا يمكنهم تحصيلها إلاّ بتلك الواسطة. فعند اجتماع هذين الشرطين، تحصل الإعانةُ والنصرةُ. إلاّ إنّ[٢٠٦] عند التحقيق، يظهر أنهم ما سعوا إلاّ في[٢٠٧] تحصيل النفع لأنفسهم، وأنّ أحداً من الخلق لا يَسعى في تحصيل النفع لغيره، إلاّ بشرط أن تكون تلك[٢٠٨] الإعانة وسيلةً [ل: ٢٥٥] إلى حصول النفع له. وعند هذا يظهر ما قرّرناه.

الوجه الثاني في بيان مفاسد طلب الرئاسة: وهي أنّ الرئاسة عبارةٌ عن نفاذ

[١٩٨] س: الهموم والغموم. م: منشأ للهموم والغموم.

[١٩٩] س: عدّ.

[٢٠٠] م: الواحد.

[٢٠١] م: طلبه.

[٢٠٢] س: الاموال والارواح.

[٢٠٣] ل: ذلك.

[٢٠٤] س: الجواب. م: والجواب.

[٢٠٥] م: والثاني.

[٢٠٦] سقطت من س.

[٢٠٧] سقطت من س.

[٢٠٨] سقطت من م.

قدرته على الغير؛ والقدرة الموصوفة بهذه الصفة صفةُ كمال؛ وصفة الكمال محبوبةٌ لذاتها؛ فهذه الصفة محبوبةٌ لذاتها[٢٠٩]. إلاّ إنّ حبّ الشيء والرغبة فيه والحرص على تحصيله مشروطٌ بالشعور بحقيقته والوقوف على ماهيّته.

إذا عرفتَ هذا، فنقول: مَن لم يَتّفق له الفوزُ بمنصب الرئاسة والإمارة، كان كالغافل[٢١٠] عن ما فيها من اللذّة والبهجة والسعادة؛ فكان قليلَ الرغبة فيها، لعدم وقوفه على حقيقتها. فإذا ذاقها، ووقف[٢١١] على ماهيتها[٢١٢]، استطابها. وإذا استطابها[٢١٣]، ازداد ميلُه إليها، وقويت رغبتُه فيها؛ ويصير أشدّ عشقاً وأعظم حرصاً ممّا كان قبل هذه الحالة.

فثبت أنّ السعي في تحصيل الرئاسة والفوز بها لا يفيد زوالَ ألم الطلب والحرص، بل يقوّي ذلك الألمَ ويُكَمِّل ذلك الحرصَ. وكلّما كان فوزه بدرجات الرئاسة والإمارة أكثر، كان التذاذُه بها أقوى. وإذا كان كذلك، كان حرصه على الازدياد[٢١٤] منها أكمل وأقوى؛ فكان[٢١٥] الألم الحاصل بسبب ذلك الطلب القويّ أقوى.

فالحاصل[٢١٦] [م: ١١٨ب] أنّ الساعي في تحصيل الرئاسة إنما يسعى لدفع ألم الحرص والطلب. وذلك باطلٌ؛ لأنه إن[٢١٧] لم يفُز بمطلوبه، كان البلاءُ الحاصل بسبب الحرمان بعد الطلب الكامل أشدَّ. وإن فاز بمطلوبه، كان التذاذه به[٢١٨]

---

[٢٠٩] "فهذه الصفة محبوبة لذاتها" سقطت من ل.

[٢١٠] س: الغافل.

[٢١١] سقطت من س.

[٢١٢] ل: ماهيته.

[٢١٣] "وإذا استطابها" ساقطة من س.

[٢١٤] س: ازدياد.

[٢١٥] م: وكان.

[٢١٦] ل: والحاصل.

[٢١٧] ل: اذا.

[٢١٨] س: بها.

أقوى؛ فكان حرصه[٢١٩] على طلب الأزيد أقوى؛ فكان البلاء الحاصل بسبب ذلك الحرص أقوى[٢٢٠].

فثبت أنّ حصول الرئاسة لا يُزيل ألمَ الطلب والحرص، بل يقوّيه ويزيد فيه. ولمّا كان لا نهاية[٢٢١] لمراتب القدرة، فكذلك[٢٢٢] لا نهاية لمراتب الآلام المتولّدة من الحرص. وإذا عَرف العاقلُ هذا المعنى، وجب عليه أن لا يُقدِم على الطلب من أوّل الأمر؛ كما قيل:

رأى الأمرَ يُفضي إلى آخِرٍ فصَيّر[٢٢٣] آخِرَه أَوّلا[٢٢٤]

[س: ١٣٣ب] **الوجه الثالث** في بيان مقابح[٢٢٥] طلبِ الرئاسة. وذلك لأنّ كون الإنسان خادماً لغيره[٢٢٦] مكروهٌ بالذات، ومحبوبٌ بالعرَض المفارِق. وما كان كذلك، فإنّه لا يكون دائماً ولا أكثريّاً. وما كان كذلك امتنع الالتذاذُ [ل: ٢٥٦] به. أمّا بيان أنّه مكروهٌ بالذات، فلأنّ كون الإنسان خادماً لغيره[٢٢٧] نقصٌ؛ والنقص مكروهٌ بالذات ضرورةً[٢٢٨]. وأمّا أنّه محبوبٌ بالعرَض[٢٢٩]، فلأنّه

---

[٢١٩] س: جهته؟

[٢٢٠] "فكان البلاء الحاصل بسبب ذلك الحرص أقوى" سقطت من م.

[٢٢١] ل: ولا نهاية.

[٢٢٢] ل: فلذلك.

[٢٢٣] م: يصير.

[٢٢٤] من البحر المتقارب. والبيت لمحمودٍ الورّاق (ت ٢٣٠/٨٤٠) (ديوان الورّاق، ٢٢٨، بلفظ "رأى الهمّ").

[٢٢٥] س: مقبح.

[٢٢٦] س، م: للغير.

[٢٢٧] س، م: للغير.

[٢٢٨] سقطت من ل، س.

[٢٢٩] ل: بالغرض.

إنما يَرضى بهذه الحالة إذا توسّل بخدمة الغير إلى تحصيل منفعةٍ لنفسه. وهذه الحالة صفةٌ عرَضيّةٌ. وأمّا أنّ هذه الحالة العرَضيّة مِن الأعراض المفارِقة السريعة الزوال، فلأنّ كون الإنسان بحيث تكون خدمته[٢٣٠] سبباً لانتفاع الخادم به أمرٌ ليس من لوازم ذاته، بل هو عرَضٌ مفارِقٌ سريع الزوال. فثبت أنّ كون الإنسان خادماً للغير مكروهٌ بالذات، ومحبوبٌ بالعرَض المفارق.

وأمّا بيان أنّ ما كان كذلك، فإنّه لا[٢٣١] يكون دائماً ولا أكثريّاً، وذلك لأنّ المقتضي للنفرة ذاتيٌّ، والمقتضي للرغبة[٢٣٢] مفارِقٌ سريع الزوال؛ فيكون جانب النفرة راجحاً على [م: ١١٩أ] جانب الرغبة. فامتنع كون هذه الخدمة دائمةً أو[٢٣٣] أكثريّةً. فعند زوالها، يتألّم قلبُ المخدوم ويتأذّى طبعُه. فثبت أنّ الغالب على من يحاول كونه مخدوماً لغيره تألّمُ القلب وتوحّشُ النفس.

الوجه الرابع في بيان مقابح طلب الرئاسة: إنّ الشيء كلّما كان ألذّ، كانت الرغبة في تحصيله[٢٣٤] أشدّ، وكانت الرغبة في إزالة العوائق عنه[٢٣٥] أشدّ. وحصول الرئاسة للغير من أشدّ الأشياء عائقاً عن حصولها لي[٢٣٦]؛ فكانت الرغبة في إبطال ذلك العائق أعظمَ الرغبات. فثبت أنّ كلّ من طمع[٢٣٧] في تحصيل الرئاسة، فقد رغّب الناسَ في قتله[٢٣٨]، وقوّى ميلَهم إلى إفنائه وإبطاله. ومَن شاهد أحوالَ الأمراء والملوك، عَرَف أنّ الأمر على القانون الذي ذكرنا[٢٣٩]. لكن مِن المعلوم أن الحياة

---

[٢٣٠] ساقطة من س.

[٢٣١] سقطت من طرف الصفحة في ل.

[٢٣٢] س: الرغبة.

[٢٣٣] س، م: و.

[٢٣٤] جميع الأصول: تحصيلها.

[٢٣٥] جميع الأصول: عنها.

[٢٣٦] سقطت من م.

[٢٣٧] م: رغب.

[٢٣٨] ل: فعله.

[٢٣٩] س: ذكرناه.

أصلٌ[٢٤٠] لجميع النعم، والرئاسة فضيلةٌ زائدةٌ. فلمّا كان السعي في طلب هذه الفضيلة الزائدة يوجِب[٢٤١] السعيَ في إبطال[٢٤٢] الأصل، كان باطلاً؛ لأنّ كلّ فرعٍ أفضى إلى إبطال الأصل كان باطلاً[٢٤٣].

الوجه الخامس في بيان مقابح هذا الباب[٢٤٤] أنّ الإنسان إمّا أن يكون أفضل من غيره، أو يكون[٢٤٥] مساوياً لغيره، أو يكون[٢٤٦] أقلَّ حالاً من غيره. فإن كان أفضل من غيره[٢٤٧]، فكونه أفضل من غيره حالةٌ مكروهةٌ لذلك الغير. فذلك المرجوح يسعى بكلّ ما يقدر عليه في إبطال تلك الفضيلة عن الراجح. [ل: ٢٥٧] فإن كان ذلك الرجحان لصفة قابلةٍ للزوال – مَثَلُه[٢٤٨] كونُه مَلِكاً نافذَ الحُكم والسلطنة – فالأعداء يسعون في إبطالها وإزالتها بأقصى ما يقدرون عليه. وإن كان ذلك الرجحان بصفةٍ لا يمكن إزالتها، مثلَ العلم، فها هنا للأعداء طريقان. أحدهما [س: ١٣٤أ] أنهم إن أمكنهم إخفاءُ تلك [م: ١١٩ب] الفضيلة بطريقٍ من الطرق، فعلوه. وذلك بإلقاء الشبهات في كلامه، وتشويش دلائله. والثاني أنهم إن عجزوا عنه، نسبوه إلى أنواعٍ من القبائح، ليصير اتصافُه بتلك[٢٤٩]

---

[٢٤٠] ساقطة من س.

[٢٤١] س: وجب.

[٢٤٢] ل: يوجب الإبطال في. وقبل "الإبطال" علامة إحالة إلى تصحيح في الهامش؛ لكنّه سقط مع الترميم.

[٢٤٣] "لأنّ كلّ فرعٍ أفضى إلى إبطال الأصل كان باطلاً" سقطت من س.

[٢٤٤] س: هذه البابُ. وفي هامش س صُوّبت "الباب" بـــ "اللذات".

[٢٤٥] سقطت من ل.

[٢٤٦] س، م: كان. وسقطت من ل.

[٢٤٧] "فإن كان أفضل من غيره" ساقطة من س.

[٢٤٨] س، م: بصفة قابلة الزوال مثل.

[٢٤٩] ل: بذلك.

القبائح والفضائح مانعاً من حصول صفة الكمال له. والتجربة تدلّ على أنّ[٢٥٠] الرجل الكامل لا بدّ وأن يكون[٢٥١] مبتلىً بهذه الأحوال.

وأمّا إذا[٢٥٢] كان مساوياً لغيره، فالوحدانيّة صفة كمال؛ وصفة الكمال محبوبةٌ لذاتها. والشركة صفة نقص؛ وصفة النقص مكروهةٌ لذاتها[٢٥٣]. وإذا ثبت هذا، فالشركاء يسعون بأقصى الوجوه في إبطال الشركة، وإظهار أنّه أفضل وأكمل من ذلك الشخص الذي يُعتقَد فيه كونه شريكاً له. وذلك السعي يكون[٢٥٤] تارةً بإلقاء الشبهات في كونه موصوفاً بتلك الفضيلة التي فيها وقعت الشركة، وتارةً بادعاء كونه موصوفاً بصفة[٢٥٥] من صفات القبح والنقصان؛ ليصير[٢٥٦] ذلك مانعاً من كون ذلك الغير شريكاً له في الفضيلة.

وأمّا إذا كان أدونَ حالاً من غيره، فهذا الشخص لا يُلتفَت إليه ولا يُقام له وزنٌ البتّة، بل يجري مجرى الأشياء الخسيسة ولا يخاطَب إلاّ[٢٥٧] بالتحقير والإهانة. بل الأطباء قالوا: "إنّه متى صار عضوٌ من الأعضاء ضعيفاً، فإنّ الأعضاء القويّة تُرسِل إليه جميعَ الفضلات". وبالجملة، فاستيلاء القويّ على الضعيف أمرٌ[٢٥٨] من لوازم الوجود.

فثبت أنّ حال[٢٥٩] الإنسان لا يخلو من هذه الأقسام[٢٦٠] الثلاثة؛ وهي كونه

---

[٢٥٠] سقطت من س.
[٢٥١] "وأن يكون" سقطت من س.
[٢٥٢] م: إن.
[٢٥٣] م: والنقص مكروه لذاته.
[٢٥٤] سقطت من ل، س.
[٢٥٥] ل: صفة.
[٢٥٦] ل: فيصير.
[٢٥٧] سقطت من ل.
[٢٥٨] سقطت من ل.
[٢٥٩] م: كمال.
[٢٦٠] س: الاشياء.

زائداً، أو ناقصاً، أو مساوياً[٢٦١]. وثبت أنّ[٢٦٢] على[٢٦٣] جميع التقديرات لا يَنفكّ عن[٢٦٤] موجبات الغموم والأحزان. فثبت أنّ هذه الحياة الجَسمانيّة لا تنفكّ[٢٦٥] البتّة[٢٦٦] عن الحزن والغمّ وألم القلب.

الوجه السادس [م: ١٢٠أ] في بيان[٢٦٧] مقابح هذه الحياة الجسمانيّة أنّ الإنسان إمّا أن يكون في الألم، أو في اللذّة، أو يكون[٢٦٨] خالياً عنهما. فإن كان في الألم والمضرّة، فلا شك أنّه حالةٌ منفّرةٌ مكروهةٌ. وإن كان في الخير وفي[٢٦٩] اللذّة، فلا شكّ أنّه عالمٌ بأنّ أحوال هذه الدنيا غير باقية، بل هي [ل: ٢٥٨] سريعة الزوال، مشرفةٌ[٢٧٠] على الانقراض والانقضاء. فكلّما كانت الحالة التي يكون الإنسان فيها[٢٧١] ألذّ وأطيب، كان خوف الزوال أشدّ إيلاماً للقلب وأعظم تأثيراً في هذا المعنى. فعلى هذا، كلّما كانت الحالة[٢٧٢] الحاصلة ألذّ وأبهج، كانت الآلام الحاصلة بسبب خوف[٢٧٣] الزوال أقوى وأكمل[٢٧٤]. وأمّا إن كان الإنسان خالياً

---

[٢٦١] ل: مسايا. س: وناقصا ومساويا.
[٢٦٢] سقطت من س.
[٢٦٣] سقطت من ل.
[٢٦٤] م: من.
[٢٦٥] "عن موجبات الغموم والأحزان فثبت أن هذه الحياة الجسمانية لا تنفك" سقطت من س.
[٢٦٦] سقطت من م.
[٢٦٧] سقطت من ل.
[٢٦٨] سقطت من ل.
[٢٦٩] "في" سقطت من م.
[٢٧٠] س: مشروعة.
[٢٧١] سقطت من س.
[٢٧٢] س، م: اللذة.
[٢٧٣] سقطت من ل.
[٢٧٤] سقطت من م.

عن الألم واللذّة، فإنّه يكون كالمعطَّل الباطل. وهذه الحالة منفِّرةٌ جدّاً مكروهةٌ جدّاً[٢٧٥]. وإذا كان كذلك، ثبت[٢٧٦] أنّ هذا القسم ممتنع الحصول. فظهر[٢٧٧] أنّ الإنسان لا يخلو قطّ من[٢٧٨] الغموم والهموم والأحزان.

الوجه [س: ١٣٤ب] **السابع** أنّ شعور الإنسان بالكيفيّات المحسوسة المخصوصة[٢٧٩] إنما يكون حال حدوثها؛ أمّا[٢٨٠] حال بقائها فإنه لا يبقى الشعورُ بها[٢٨١]. ولهذا السبب قالوا: "إنّ الحرارة الحاصلة من حمّى الدقّ[٢٨٢] أقوى وأكمل من الحرارة الحاصلة من حمّى الغبّ[٢٨٣] بكثيرٍ؛ إلاّ إنّ الحرارة الدقّيّة[٢٨٤] غير مشعورٍ بها، لأجل أنها استقرّت وبقيت. وأمّا الحرارةُ الحادثة[٢٨٥] من حمّى الغبّ، فإنها غير مستقرّةٍ، بل حادثةٌ؛ فلا جرم حصل الشعورُ بها."

إذا عرفت هذا فنقول: اللذّات الحاصلة من هذه المحسوسات لا تحصل إلاّ حالَ حصول الشعور بها؛ وحالُ حصول الشعور بها[٢٨٦] ليس إلاّ في أوّل[٢٨٧] حدوثها. ينتج أنّ الالتذاذَ بهذه المحسوسات لا يحصل إلاّ في أوّل حال الحدوث[٢٨٨]. [م:

---

[٢٧٥] ل: منفرة جداً مكروه جداً. س: منفرة ومكروهة جداً.
[٢٧٦] م: فثبت.
[٢٧٧] س، م: وظهر.
[٢٧٨] س: عن. ل: قطّ لا يخلو من.
[٢٧٩] سقطت من س، م.
[٢٨٠] سقطت من س.
[٢٨١] م: بقائها لا شعور بها.
[٢٨٢] راجع: ابن سينا، القانون، ٣، ٥٨.
[٢٨٣] راجع: ابن سينا، القانون، ٣، ٧٤.
[٢٨٤] ل: الدقيقة.
[٢٨٥] س: الحاصلة.
[٢٨٦] "وحال حصول الشعور بها" ساقطة من س.
[٢٨٧] م: حال.
[٢٨٨] زيادة في س: أما في حال الحدوث.

١٢٠ب] و[٢٨٩] أمّا في حال الدوام والبقاء، فإنّه لا يحصل الشعورُ بها؛ فلا جرم لا يحصل الالتذاذُ بها. و[٢٩٠] إذا لم يحصل الالتذاذ بها، والطبع طالبٌ للالتذاذ[٢٩١]، فحينئذٍ يصير طالباً لشيءٍ آخر. فعلى هذا، لو أنّ الإنسان ملَكَ جميع خزائن[٢٩٢] السماوات والأرض، فالتذاذه[٢٩٣] بها لا يكون إلاّ في حال حدوثها. ثمّ عند الفراغ منها[٢٩٤]، يطلب شيئاً آخر، ويحاول تحصيل الزيادة. وبسبب ذلك الطلب والحرص يحصل في قلبه ألمُ الشوق ومضَرّةُ الطلب. فثبت أنّ هذا[٢٩٥] البلاء ممّا لا سبيل إلى دفعه البتّة.

و[٢٩٦] **الوجه الثامن** أنّ الإنسان إذا فتح باب الحرص على نفسه، فقد ينتهي ذلك إلى أن يصير طالباً للجمع بين الضدّين. ومثاله أنّ القدرة صفة كمال؛ وصفة الكمال محبوبةٌ بالذات. والاستغناء عن الغير صفة الكمال؛ [ل: ٢٥٩] فتكون محبوبةً بالذات[٢٩٧].

إذا عرفت هذا، فنقول: إنّ الرجل إذا مال طبعه إلى السخاوة والجود والمروءة[٢٩٨]، فهذه السخاوة من حيث أنها هي[٢٩٩] تدلّ على أنّ قلبه غير ملتفت إلى حبّ المال، ولا يبالي بوجوده وعدمه؛ فإنها[٣٠٠] مطلوبةٌ. [أمّا] من حيث أنها

---

[٢٨٩] سقطت من س، م.
[٢٩٠] سقطت من س.
[٢٩١] ل، م: الالتذاذ.
[٢٩٢] س، م: خزائن جميع.
[٢٩٣] ل: فالالتذاذ.
[٢٩٤] م: عنها.
[٢٩٥] ل: هذه.
[٢٩٦] سقطت في س، م.
[٢٩٧] ل: للذات.
[٢٩٨] سقطت من م. س: والمودة.
[٢٩٩] سقطت من س، م.
[٣٠٠] م: كأنها.

تقتضي خروجَ المال عن يده[٣٠١]، وخروج المال عن اليد يوجب نقصاناً في القدرة الحاصلة بسبب المال، والنقصان في القدرة مكروهٌ، صارت السخاوة من هذه الجهة مكروهةً منفرةً. وجميع الخلق موصوفون بهذه البليّة. فلأجل[٣٠٢] ميل الطبع إلى حصول المدح والثناء والتعظيم، يحبّون الجودَ والسخاوةَ. ولأجل فوت القدرة الحاصلة بسبب ذلك المال، يبغضونه. فلهذا السبب، بقي كلّ الخلق في موقف المعارضة والترجيح. فمنهم مَن ترجّح عنده ذلك الجانب، فيبذل المال. ومنهم من ترجّح عنده الجانبُ الثاني، [م: ١٢١أ] فيمنع. ومنهم من بلغ في الجهالة والحماقة[٣٠٣] إلى حيث يريد الجمعَ بين الوجهين؛ فيَعد الناسَ بالجود والسخاوة والمروءة[٣٠٤] والكرم، طمعاً منهم[٣٠٥] في أنّه ربما فاز لهذا[٣٠٦] المعنى بالمدح والثناء؛ ثمّ إنّه عند حضور الوقت [س: ١٣٥أ] لا يفي به. فحينئذ، يقع في أشدّ أنواع القبائح والفضائح[٣٠٧]. وإذا تأمّلتَ في أحوال أهل الدنيا، علمتَ أنهم بأسرهم داخلون تحت البلاء المتولّد من هذه القضيّة، إمّا في الكثير منه، أو[٣٠٨] في[٣٠٩] القليل.

الوجه التاسع أنّ[٣١٠] الإنسان إمّا أن يسدّ باب الإنعام على الغير، ويسدّ بابَ إيصال[٣١١] الخير إلى الغير؛ وإمّا أن لا يسدّ هذا الباب، بل قد[٣١٢] يُقدم على هذا

---

[٣٠١] "ولا يبالي بوجوده وعدمه، فإنها مطلوبة من حيث أنها تقتضي خروج المال عن يده" سقطت من س.

[٣٠٢] م: ولأجل.

[٣٠٣] سقطت من م.

[٣٠٤] سقطت من ل، س.

[٣٠٥] س، م: منه.

[٣٠٦] ل: بهذا.

[٣٠٧] سقطت من س. ل: القبائح الفضائح.

[٣٠٨] س: وإمّا.

[٣٠٩] سقطت من م.

[٣١٠] سقطت من س.

[٣١١] ل: إفضال. س: اتصال.

[٣١٢] سقطت من م.

العمل[٣١٣]. وفي كلّ واحد من الطرفين آفاتٌ كثيرةٌ. أمّا[٣١٤] القسم الأوّل، وهو أن يسدّ هذا الباب بالكلّيّة، فها هنا فيه[٣١٥] آفاتٌ. أوّلها[٣١٦]، أنّ كلّ مَن اشتُهر عند الناس بالبعد عن[٣١٧] الخير والنفع أبغضوه؛ وكلّ من صار بغيضاً عند الكلّ، فوصول[٣١٨] الآفة إليه أسرع من انحدار السيل من المكان العالي. وثانيها، وهو أنّ الناس إذا عرفوا منه تلك الصفة، مقتوه وأبغضوه و لم يلتفتوا إليه؛ وكلّ مَن عَلِم مِن الناس أنهم إنما ينظرون إليه بعين المقت والإزراء، فإنّه يضيق قلبه وتتألّم روحُه. وثالثها أنّه إذا لم يظهر منه خيرٌ، صار [ل: ٢٦٠] كالجماد والعدم[٣١٩]. وهذه حالةٌ منفّرةٌ جدّاً.

وأمّا القسم الثاني — وهو أن يفتح بابَ إيصال الخير إلى الغير — فهذا فيه آفاتٌ. أحداها أنّ إيصال الخير إلى الكلّ[٣٢٠] محالٌ؛ [م: ١٢١ب] فلا بدّ من إيصاله إلى البعض[٣٢١] دون البعض. وذلك يصير سبباً للعداوة الشديدة. فإنّه يقال له: "لِمَ[٣٢٢] أوصلتَ الخيرَ إلى فلان، ومنعتني منه؟" وثانيها أنّ الذي أوصل إليه الخيرَ[٣٢٣] مرّةً يلتذّ بذلك الخير؛ والالتذاذ سببٌ للطلب؛ فيبقى أبداً طامعاً في ذلك الرجل. وإيصال الخير إليه في كلّ حينٍ وساعةٍ متعذّرٌ؛ فيصير ذلك سبباً للعداوة الشديدة.

---

[٣١٣] م: الفعل.
[٣١٤] س: واما.
[٣١٥] ل: منه.
[٣١٦] س: فاوّلها.
[٣١٧] س: من.
[٣١٨] س: فوصل.
[٣١٩] س، م: وكالعدم.
[٣٢٠] س: كل.
[٣٢١] ل: بالبعض.
[٣٢٢] سقطت من ل.
[٣٢٣] س: الخير اليه. م: وصل الخير إليه.

ولهذا[٣٢٤] قيل: "اتّقِ شرَّ مَن أحسنتَ إليه". وثالثها أنّ المقدار الذي وصل إليه من الخير يصير معتاداً مألوفاً، ويصير كالأمر المستحَقّ. فيقع في قلبه طلبُ الزيادة عليه. وربما تعذّرت الزيادة عليه[٣٢٥]؛ فيصير ذلك سبباً قوياً في العداوة. فثبت أنّ على[٣٢٦] كلا التقديرين – أعني سدّ باب[٣٢٧] الخيرات وفتحها — لا يَسلم الإنسانُ من[٣٢٨] الضرر.

الوجه العاشر في مقابح هذه الحياة الجسمانيّة: و[٣٢٩] هو أنّ الإنسان إمّا أن يفرّ عن جميع الخلق ويعتزل عنهم، وإمّا أن يخالطهم ويصاحبهم. وعلى كلا التقديرين، فالضرر لازمٌ. أمّا القسم الأوّل، وهو الفرار عن الخلق والعزلة[٣٣٠] عنهم، فالضرر فيه لازمٌ. وذلك لأنّ الإنسان خُلِق مدنيّاً بالطبع؛ وما لم يجتمع الجمعُ العظيم، فإنّ مصالحه لا تنتظمُ. فإذا تفرّد، اختلّت مصالحُه. فإن صبر عليها، صار كالبهيمة الوحشيّة، وخرج عن الطباع البشريّة. وأيضاً، [س: ١٣٥ب] فإنّ الإنسان كما ينتفع في المنافع الحسّيّة بأهل المدينة، فكذلك ينتفع بهم في المنافع العقليّة. فإنّه إذا كان في المدينة الكبيرة، ويرى أصنافَ الناس، [م: ١٢٢أ] ويسمع من الخلق أنهم يمدحون البعضَ بما فيهم من الصفات الحميدة، ويذمّون الباقين[٣٣١] بما فيهم من الصفات الخسيسة[٣٣٢]، دعته تلك الأحوال إلى الرغبة في تحصيل الصفات الحميدة والرهبة من[٣٣٣] الصفات الذميمة. فبهذا الطريق، يصير إنساناً كاملاً فاضلاً. أمّا إذا

---

[٣٢٤] س: فلهذا.
[٣٢٥] سقطت من س، م.
[٣٢٦] سقطت من ل.
[٣٢٧] م: باب سد.
[٣٢٨] س، م: عن.
[٣٢٩] سقطت من م.
[٣٣٠] س: العزل.
[٣٣١] س: البعض.
[٣٣٢] م: الذميمة.
[٣٣٣] س، م: عن.

خرج من[٣٣٤] المدينة، وجلس في مفازة خالية، بقي خالياً عن هذا النفع. فثبت أنّ العزلة والخلوة توجب الحرمانَ عن [لً: ٢٦١] المنافع الحسّيّة والمنافع العقليّة.

وأمّا القسم الثاني، وهو المخالطة مع الخلق، فهذا القسم أيضاً فيه[٣٣٥] أنواعٌ من الآفات. إحداها أنّ حبّ الكمال لازمٌ للذات[٣٣٦]. وإذا كان كذلك، كان[٣٣٧] إظهار الكمال محبوباً بالذات. وإذا كان كذلك، فربما كان الخالي عن[٣٣٨] الكمال يريد إظهارَ الكمال؛ وذلك هو الكذب. فيصير هذا المعنى حاملاً له على الكذب. إلاّ إنّ الكذب إنما[٣٣٩] يُقدِم الرجلُ عليه مع الغير؛ أمّا مع نفسه وحده، فإنّه لا يكذب. فالكذب والغيبة والنميمة والتكبّر والاستهزاء أحوالٌ لا تحصل إلاّ عند المخالطة مع الغير[٣٤٠]؛ أمّا إذا كان الإنسان منفرداً بنفسه، غير مخالطٍ[٣٤١] لغيره، فإنّ شيئاً منها لا يحصل البتّة.

وثانيها أنّ السهو[٣٤٢] والنسيان غالبان على الإنسان. فالرجل لا يمكنه إخلاءُ جميع أفعاله وأقواله عمّا لا ينبغي. فإذا خالطه قومٌ، فهم يعدُّون عليه معايبَه[٣٤٣]، ويخفون مناقبَه. فإذا[٣٤٤] تغيّروا عليه لبعض الأسباب المتقدّمة، جَبَهوه[٣٤٥] بما التقطوا

---

[٣٣٤] س، م: عن.

[٣٣٥] سقطت من س.

[٣٣٦] س: اللذات.

[٣٣٧] "كذلك كان" سقطت من ل. وصحّحت بالهامش. لكن التصحيح سقط من طرف الصفحة مع الترميم.

[٣٣٨] س: من.

[٣٣٩] ل: ربما.

[٣٤٠] ل: للغير.

[٣٤١] س: مخالطة.

[٣٤٢] س: السهر.

[٣٤٣] ل: فإذا حالفه قوم فيهم يعرفون معايبه.

[٣٤٤] م: إذا.

[٣٤٥] م: وجبهوه. وجَبَهَ فلاناً، أي استقبله بالمكروه.

من أفعاله وأقواله من المعايب. وربما[346] قصدوا إيذاءه وقتله[347] لبعض تلك الأسباب.

وثالثها أنّ لكلّ واحدٍ من الناس خُلُقاً بعينه [م: ١٢٢ب] وطبعاً بعينه؛ فقبيحُ هذا حَسَنٌ لذاك[348]، وبالعكس. وإذا كان كذلك، فطول المخالطة تورِث النفرةَ والعداوة والبغض[349]. وأيضاً، طول المخالطة تفيد الوقوفَ على أسباب الخير والشرّ. وإذا كان كذلك، فالوقوف على جملة الأحوال يفيد القدرة على القصد بالشرّ والإيذاء. والنفرة الحاصلة بسبب طول المخالطة تُقوّي تلك الحالة[350]. فلهذا السبب، كان الشرّ الحاصل من الأقارب والمصاحبين[351] أعظم من الشرّ الحاصل من الأجانب والأباعد.

و[352] **الوجه الحادي عشر** أنّ الإنسان إمّا أن يعيش في الدنيا خالياً عن الزوجة والولد، أو مع حصولهما[353]. وكلّ واحد من هذين[354] القسمين سببٌ لحصول الآفات والبليّات. أمّا القسم [س: ١٣٦أ] الأوّل — وهو البقاء بدون[355] الزوجة والولد — فهذا يوجب أنواعاً من البلاء. لأنّ، على هذا التقدير، إمّا أن يخدم الإنسانُ نفسَه بنفسه، وإمّا أن يستخدم غيره. أمّا الأول [ل: ٢٦٢] فهو يفيد الكدَّ والعناء والبلاء؛ وذلك ظاهرٌ بعد الاستقراء[356]. وأمّا إن استخدم غيرَه،

[346] ل: وانما.
[347] سقطت من ل.
[348] س: لذلك.
[349] س، م: البغضة.
[350] "تقوي تلك الحالة" سقطت من م.
[351] ل: غير واضحة.
[352] سقطت في س، م.
[353] ل: حصولها.
[354] سقطت من م.
[355] م: دون.
[356] س: الاستقرار.

كانوا[٣٥٧] لا محالة أجانب منه، فلا يكون لهم عليه شفقةٌ، ولا يهتمّون بإصلاح حاله. وأمّا القسم الثاني، وهو البقاء مع الزوجة والولد، فهذا[٣٥٨] يفتح عليه باباً من البلاء لا آخر له. وذلك لأنّه يحتاج إلى تحصيل مصالح الزوجة والولد، وتحصيل كلّ[٣٥٩] ما يطلبونه من الطيّبات واللذّات. ثمّ إنّ الولد إن كان جيّداً، كان خوفُ موته ينغّص كلّ[٣٦٠] الطيّبات واللذّات[٣٦١]. وإن كان[٣٦٢] رديئاً، كان تألّمُ القلب عند حياته يزيد على كلّ الآلام والآفات. ولذلك لمّا رأى عليٌّ – رضي الله عنه[٣٦٣] – رجلاً ومعه ولده، فقال: "لا تحبّه! فإنّه إن عاش كدّك، [م: ١٢٣أ] وإن مات هدّك."

الوجه الثاني عشر في بيان مقابح هذه الحياة أن نقول: هذه الحياة، هل هي طيّبةٌ[٣٦٤] لذيذةٌ في نفسها، أو ليست كذلك؟ والقسم الأول باطلٌ. لأنّ الشيء المستطاب المشتهى اللذيذ كلّما كانت مشاهدته أكثر، كان الالتذاذ[٣٦٥] به أقوى وأكمل؛ فكان يجب أن يكون الإنسان الفارغ عن[٣٦٦] كلّ الأعمال والأقوال، المراقِب لمرور الساعات والآنات[٣٦٧] عليه حال كونه حيّاً، يَعظُمُ التذاذُه بذلك[٣٦٨]؛

---

[٣٥٧] ل: وكان.

[٣٥٨] م: وهذا.

[٣٥٩] م: كمال.

[٣٦٠] م: جميع. وفوق السطر في ل: لأسباب.

[٣٦١] سقطت من س، م.

[٣٦٢] زيادة في م: نعوذ بالله.

[٣٦٣] س: علي بن ابي طالب. م: علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

[٣٦٤] سقطت من س.

[٣٦٥] س: التذاذه.

[٣٦٦] س: على.

[٣٦٧] م: والأوقات.

[٣٦٨] م: لذلك.

لأنّ[٣٦٩]، على هذا التقدير، فهو يشاهد اللذيذَ المشتهَى. ومعلومٌ أنّ ذلك باطلٌ؛ لأنّ المعطَّل عن كلّ الأعمال يضيق[٣٧٠] قلبُه، ولا يمكنه تحمّلُ ذلك. ولذلك، فإنّ الملوك يشغلون[٣٧١] أنفسهم بالصيد وبالنرد وبالشطرنج[٣٧٢] وبسماع الخرافات من الحكايات[٣٧٣]، كلّ ذلك فراراً عن كونه معطّلاً عن مزاولة[٣٧٤] الأعمال.

وأمّا القسم الثاني – وهو أن[٣٧٥] يُقال: هذه الحياة في نفسها غير طيّبة ولا لذيذة – فنقول: إن[٣٧٦] كان الأمر كذلك، فما السبب في أنّ كلّ حيوانٍ يكره الموتَ؛ و[٣٧٧] إذا تخيّل نزولَ الموتِ به، دَفَعه على أقوى الوجوه، وفرّ منه على أعظم الوجوه؟ فهذا المعنى أيضاً حالةٌ عجيبةٌ، لا بدّ من التأمّل فيه.

الوجه الثالث عشر في مقابح هذه الحياة أن نقول: هذا الإنسان إمّا أن يكون رئيساً على الغير، أو لا يكون. وفي كلّ واحدٍ من القسمين أنواعٌ من الآفات. أمّا القسم الأوّل – وهو أن يكون رئيساً – فنقول: الرئاسة إنما [ل: ٢٦٣] تكون لذيذةً إذا كان أحوال الخدم واقعةً على وفق إرادة الرئيس. و[٣٧٨] كلّما كان عدد الخدم أكثر، كانت إرادات[٣٧٩] الرئيس أكثر. وكلّما كانت الإرادات[٣٨٠] أكثر،

[٣٦٩] ل: "لأن" مكررة.
[٣٧٠] س: الضيق.
[٣٧١] س: يستعملون.
[٣٧٢] س، م: والنرد والشطرنج.
[٣٧٣] "من الحكايات" سقطت من ل. س: عن الحكايات.
[٣٧٤] ساقطة من س، م.
[٣٧٥] سقطت من س.
[٣٧٦] س: فان.
[٣٧٧] سقطت من س.
[٣٧٨] سقطت من س.
[٣٧٩] ل: كان إرادة.
[٣٨٠] ل: الارادة.

كانت الآلام الحاصلة بسبب [س: ١٣٦ب] فوت تلك المرادات[٣٨١] أكثر. لكن من المعلوم أنّ حصول المرادات [م: ١٢٣ب] الجسمانيّة أبداً كالممتنع؛ لأنّ أجسام هذا العالم مبنيّةٌ على التغيّر والتبدّل وسرعة الانقراض والانقضاء، كأنها الزئبق[٣٨٢] يتبدّل[٣٨٣] من حالٍ إلى حالٍ. فثبت أنّه[٣٨٤] كلّما كانت الرئاسة أكبر[٣٨٥] وأعظم، كانت الحسرات[٣٨٦] والزفراتُ والغموم والهموم أقوى وأكثر. وأمّا القسم الثاني – وهو أن لا يكون رئيساً – فهو إمّا أن يكون معطّلاً محروماً، وإمّا أن يكون خادماً ضعيفاً؛ وكلاهما منفِّران.

الوجه الرابع عشر في مقابح أحوال هذا العالم، لا سيّما في الرئاسة: إنّ[٣٨٧] حصول الرئاسة إمّا أن يكون مع العدل، أو مع الظلم؛ وكلاهما مذمومٌ[٣٨٨]. أمّا مع العدل، فهذا متعذِّرٌ؛ لأنّ هذا يفضي إلى[٣٨٩] تسليم الرئاسة إلى كلّ مَن كان أولى به وأشدّ استحقاقاً له[٣٩٠]. ومثل هذه الرئاسة كأنها[٣٩١] لم تتّفق البتّة. وإن حصلت[٣٩٢]، إلاّ إنها كانت[٣٩٣] في غاية الندرة. وأمّا مع الظلم، فهذا أيضاً منفِّرٌ؛

---

[٣٨١] ل: الإرادات.
[٣٨٢] س، م: فانها كالزئبق.
[٣٨٣] ل: تبدل.
[٣٨٤] س: ان.
[٣٨٥] س، م: اكثر.
[٣٨٦] س: الكرّات.
[٣٨٧] ل: لأن.
[٣٨٨] م: مذمومان.
[٣٨٩] س، م: يقتضي.
[٣٩٠] سقطت من م.
[٣٩١] م: كأنما.
[٣٩٢] س: جعلت.
[٣٩٣] سقطت من ل.

لأنّ ذلك يوجِب[٣٩٤] استحقاقَ اللعنِ والتحقير والتوبيخ مِن أهل العقل والدين. وتَصوُّر هذه الأحوال أيضاً منفِّرٌ جدّاً.

الوجه الخامس عشر في قبائح الرئاسة: وهو أنها لا يمكن إجراؤها[٣٩٥] على الظاهر إلاّ مع الكذب والتزوير. فإنّ الرئيس الكامل الفاضل لو شافَهَ[٣٩٦] كلَّ أحد بأنّك لا تَستحقّ إلاّ القدر الفلانيّ من التعظيم، وأنّك دون فلان وفلان، لتشوَّشَت[٣٩٧] رئاستُه، واختلّت ولايتُه. بل لا بدّ وأن يقول لكلّ أحدٍ: "إنّكَ أفضل الناس، وأكمل أصحابي، وعليك اعتمادي؛ وإني على عزم أن[٣٩٨] أُربيك فوق ما أُربي غيرَك"؛ مع أنّه يعلم أنّ كلّ ما يقوله كذبٌ و زورٌ وبهتانٌ. فثبت أنّ الرئاسة لا تتمّ إلاّ مع هذه المنفِّرات.

و[٣٩٩] **الوجه السادس عشر** في بيان[٤٠٠] قبح [م: ١٢٤أ] لذّة[٤٠١] الرئاسة والإمارة: وذلك أنّ[٤٠٢] الرئاسة إنما تكمل بكثرة الخدم والتبع. وإذا كَثُر الأتباعُ والأعوانُ، احتاج الرئيسُ [ل: ٢٦٤] إلى الإنفاق الكثير. وذلك لا يمكن إلاّ بالمال الكثير. وتحصيل المالِ شاقٌّ؛ فكان تحصيل المالِ الكثير أشقّ. فلو لم يكن للرئيس[٤٠٣] من المتاعب والمشاقّ إلاّ[٤٠٤] تعلُّق قلبِه بتحصيل الأموال الكثيرة وصونها

---

[٣٩٤] سقطت من ل.

[٣٩٥] س: اجراها.

[٣٩٦] ل: شاور.

[٣٩٧] ل: تشوشت.

[٣٩٨] سقطت من س.

[٣٩٩] سقطت من س، م.

[٤٠٠] سقطت من ل، س.

[٤٠١] سقطت من م.

[٤٠٢] س: لأن.

[٤٠٣] س: الرئيس.

[٤٠٤] س: لا.

عن السُرّاق واللصوص، لكفاه ذلك تعباً ومشقّةً. فكيف وأنّه يحتاج إلى تحصيل تلك الأموال من غير وجوهها[٤٠٥]! فيصير مستوجباً للّعن والخزي والنكال بسبب تحصيلها. ثمّ إذا[٤٠٦] دفعها إلى الرعيّة، فكلّ[٤٠٧] مَن دفع إليه قدراً من المال، فذلك الرجل يستحقر ذلك القَدْر، فيطمع[٤٠٨] في الزائد عليه، فيلعنه بسبب أنّه قلّل في تلك العطية. فهذا الرئيس لا يستفيد[٤٠٩] مِن [س: ١٣٧أ] رئاسته وولايته إلاّ الطعن واللعن في الأوّل وفي الآخِر، وإلاّ استحقاق العذاب[٤١٠] والمقت من عند الله عند الدخل والخرج.

الوجه السابع عشر أنّ هذا الرئيس الآمر[٤١١] الناهي إمّا أن يكون حَسنَ العِشرة[٤١٢]، طيّب الخُلق، غير مهيب، وإمّا أن يكون مهيباً معظّماً. وفي كلّ واحدٍ مِن القسمين آفاتٌ. أمّا القسم الأوّل، فهو أنهم إذا اختلطوا به[٤١٣] و لم يحشموه، لم[٤١٤] يبق له في قلوبهم وقعٌ؛ فلا[٤١٥] ينقادون له البتّة، ولا يلتفتون إليه. والرعية إذا كانوا كذلك، صار ذلك سبباً لزوال المُلك ولخراب[٤١٦] العالم.

وأمّا القسم الثاني، وهو أن يكون مهيباً عظيم السطوة شديد القهر، فالآفة

---

[٤٠٥] س: وجوها.
[٤٠٦] ساقطة من س.
[٤٠٧] م: وكل.
[٤٠٨] س، م: ويطمع.
[٤٠٩] س: يستقدر.
[٤١٠] س: في الأول والآخر والاستخفاف والعذاب.
[٤١١] واو زائدة في ل.
[٤١٢] م: المعاشرة و.
[٤١٣] سقطت من م.
[٤١٤] س: يحتشموه و لم.
[٤١٥] م: ولا.
[٤١٦] م: خراب.

فيه أنهم إذا خافوه[٤١٧]، فربما قصدوا[٤١٨] قتلَه وعزلَه[٤١٩]. وأمّا إن قيل: "إنّه لا بد من التوسّط بين الحالتين"، فذلك التوسّط الحقّ[٤٢٠] غير معلوم، [م: ١٢٤ب] ومقداره غير مضبوط. فربما أتى الإنسان بالرفق في موضع كانً اللائق به القهر والسطوة[٤٢١]؛ وربما كان بالضدّ منه. فلهذا السبب، يكون[٤٢٢] الرئيس أبداً خائفاً وجلاً أنّه هل[٤٢٣] أصاب فيما أتى به، أم لا[٤٢٤].

الوجه الثامن عشر: أنّ الرئيس إمّا أن يُسوّي بين جميع أصحابه في العطية والتعظيم[٤٢٥]، وإمّا أن يُفضِّل البعضَ على البعض. أمّا القسم الأوّل، فهو من أعظم الأسباب لاختلال المملكة والرئاسة. فإنّه يقال: "إنّ هذا الرجل لا يراعي[٤٢٦] مراتبَ الحقوق، ولا يفوِّض المنصبَ إلى أهله. فوجب [ل: ٢٦٥] الفرار منه". وأمّا القسم الثاني، فهو أيضاً يوجِب وقوعَ الحسد في قلب المرجوح؛ وذلك ممّا يحمله على الفتك بالرئيس، وقصدِه بكلّ سوءٍ عند القدرة. وذلك أيضاً من أعظم الآفات.

الوجه التاسع عشر أنّ الرئاسة حقيقتها أنّ الرجل الواحد[٤٢٧] التزَم: "إني

---

[٤١٧] ل: خافوا.

[٤١٨] س: قصدوه.

[٤١٩] سقطت من م.

[٤٢٠] سقطت من م.

[٤٢١] م: كان به القهر والسطوة أولى.

[٤٢٢] مكررة في م.

[٤٢٣] سقطت من س.

[٤٢٤] "وجلاً أنه أصاب فيما أتى به أم لا" سقطت من ل. وتصحيحها بالهامش، سقط معظمه مع الترميم.

[٤٢٥] سقطت من س.

[٤٢٦] س: يراع.

[٤٢٧] سقطت من س. ل: والواحد.

أُصلح جميعَ[٤٢٨] مهمّات الخلق". وعقل الإنسان الواحد[٤٢٩] لا يفي بإصلاح مصالحه بعينه[٤٣٠]؛ فكيف يفي بإصلاح مهمّات الخلق! فثبت أنّه مقامٌ صعبٌ، وفيه خطرٌ.

الوجه العشرون: هب أنّ هذه الرئاسة في غاية اللذّة والبهجة. إلاّ إنّ[٤٣١] عند الموت، لا بدّ مِن تركِها. فكلّما[٤٣٢] كانت تلك[٤٣٣] اللذّة أقوى وأكمل، كانت الآلام الحاصلة بسبب تركِها أقوى وأكمل.

وعند التعارض يقتضي العقلُ وجوبَ البقاء على العدم[٤٣٤] الأصليّ.

القسم الثالث:
في اللذّات العقليّة الحاصلة بسبب العلوم

اعلم أنّ العلوم إمّا عقليّةٌ، وإمّا وضعيّةٌ. أمّا العلوم الوضعيّة، فإنّه لا يُنتفَع بها[٤٣٥] إلاّ بسبب مصالح الحياة الجسمانيّة. والتبع[٤٣٦] [س: ١٣٧ب] لا يكون أكملَ من الأصل. فلمّا بيّنّا خساسةَ الحياة الجسمانيّة، كانت العلوم التي لا تُراد إلاّ لمصالح هذه الحياة [م: ١٢٥أ] الخسيسة أولى بالخساسة. وبهذا الحرف، تعرف أنّ أكثر

[٤٢٨] ساقطة من ل.
[٤٢٩] سقطت من ل، م.
[٤٣٠] ل: مصالح نفسه.
[٤٣١] سقطت من س.
[٤٣٢] س: فلما.
[٤٣٣] سقطت من ل.
[٤٣٤] س: يقضي العقل بوجوب تفاعل العدم. م: يقضي العقل بوجوب.
[٤٣٥] م: به.
[٤٣٦] س: والنفع.

العلوم التي تَرى الخلقَ مقبِلين عليها علومٌ خسيسةٌ، لأنّه[٤٣٧] لا فائدة فيها إلاّ رعاية[٤٣٨] المصالح الدنيويّة.

وأمّا العلوم العقليّة، فهي إمّا أن تكون مطلوبةً لذاتها، أو لغيرها. أمّا العلم العقليّ[٤٣٩] المطلوب لغيره، فهو المنطق. ولمّا كان مطلوباً لغيره، كان شرفه على قدْرِ شرف ذلك الغير. و[٤٤٠] أمّا العلوم العقليّة المطلوبة بالذات، فهي محصورةٌ في أربعة أنواع: معرفة الإله، ومعرفة الروحانيّات، ومعرفة العالم الأعلى، ومعرفة العالم الأسفل.

القسم الأوّل: وهو معرفة الإله، وهو أشرف الأقسام. ولكن مَن الذي وَصَل إلى عتبة تلك الحضرة العالية! ومَن الذي شمّ رائحةَ ذلك الجناب المقدَّس! فحاصلُ العقول[٤٤١] ظنونٌ وحُسباناتٌ، ومنتهى الأمر أوهامٌ وخيالاتٌ. والذي يقرِّر ذلك وجوهٌ؛ بعضها إجماليّةٌ، وبعضها تفصيليّةٌ. [ل: ٢٦٦] أمّا الإجماليّة، فمن وجوهٍ.

[الوجوه الإجماليّة]

الأوّل

إنّ الحجّة لا تكون يقينيّةً إلاّ إذا كانت مادّته يقينيّةً — إمّا ابتداءً، أو يقينيّة اللزومِ[٤٤٢] عمّا هو يقينيٌّ ابتداءً، إمّا بواسطةٍ واحدةٍ، أو بوسائط، شأن كلِّ واحدٍ

[٤٣٧] س، م: فإنه.

[٤٣٨] م: إعانة.

[٤٣٩] زيادة في م: الذي.

[٤٤٠] سقطت من س.

[٤٤١] زيادة في م: كلها.

[٤٤٢] س، م: للزوم.

منها ذلك —— وكانت صورته أيضاً يقينيّةً، إمّا ابتداءً، وإمّا بواسطة. ومِن المعلوم أنّ المقدّمات إذا كانت يقينيّةً ابتداءً، امتَنع وقوعُ النزاع فيها؛ وإذاً كانت يقينيّةَ اللزوم عمّا هو يقينيٌّ إبتداءً، امتنع وقوعُ النزاع أيضاً فيه[٤٤٣]. وإذا كانت الصورة يقينيّةَ الصحّة، امتنع أيضاً وقوع النزاع فيها[٤٤٤].

و[٤٤٥] إذا ثبت هذا، فنقول: كلّ ما كان برهاناً يقينيّاً، فإنّ مَن سمِعه ووقَف عليه، وأحاط عقلُه بجميع مقدّماته، [م: ١٢٥ب] فإنّه يمتنع منه أن ينازع فيه. فإن بقي له[٤٤٦] نزاعٌ فيه، وجب أن يكون لأجل أنّ مقدّماته خاليةٌ عن تلك الشرائط، أو[٤٤٧] لأجل أنّ تركيبه خالٍ[٤٤٨] عن ذلك.

و[٤٤٩] إذا ثبت هذا، فنقول: هذه الأشياء المسمّاة "براهين[٤٥٠]"، لو كانت في أنفسها براهين، لكان كلّ مَن سمعها ووقف عليها، وَجَبَ أن يُقِرّ بها[٤٥١] وأن لا ينكرها أصلاً. وحيث نرى أنّ الذي يسمّيه أحدُ الخصمين "برهاناً"، فإنّ الخصم الثاني[٤٥٢] يسمعه ويعرفه، ولا يفيد له ظنّاً ضعيفاً، علمنا أنّ هذه الأشياء ليست في أنفسها براهين، بل هي مقدّماتٌ ضعيفةٌ انضافت العصبيّةُ والمحبّةُ إليها؛ فيجعل[٤٥٣] بعضُهم كونَه برهاناً، مع أنّ الأمر في نفسه ليس كذلك.

---

[٤٤٣] "وإذا كانت يقينيّة اللزوم عمّا هو يقينيّ إبتداءً امتنع وقوع النزاع أيضاً فيه" سقطت من س.

[٤٤٤] ل، س: فيه.

[٤٤٥] سقطت من س، م.

[٤٤٦] سقطت من س. ل: به.

[٤٤٧] س: و.

[٤٤٨] ل، س: خالي.

[٤٤٩] سقطت من م.

[٤٥٠] س، م: بالبراهين.

[٤٥١] م: يقبلها.

[٤٥٢] س: الذي.

[٤٥٣] م: فيخيّل.

الحجّة الثانية

إنّ المشبِّه يحتجّ على القول بالتشبيه بحجّة، ويزعم أنّ تلك الحجّة أفادته الجزمَ واليقين. والمعطِّل أيضاً يحتجّ بحجّةٍ على القول بالتعطيل، ويزعم أنّ تلك [س: ١٣٨أ] الحجّة أفادته الجزمَ واليقين. فإمّا أن يقال: "إنّ[٤٥٤] كلّ واحدة من هاتين الحجّتين صحيحةٌ يقينيّةٌ[٤٥٥]"، فحينئذ يَلزم صدقُ[٤٥٦] النقيضين. وهو باطلٌ. وإمّا أن يقال: "إحداهما[٤٥٧] صحيحةٌ، والأخرى[٤٥٨] فاسدةٌ؛ إلاّ إنّه متى كان الأمر كذلك، كانت مقدّمةٌ[٤٥٩] واحدةٌ من مقدّمات تلك الحجّة باطلةً في نفسها، مع أنّ الذي [ل: ٢٦٧] تمسّك بتلك الحجّة جزَم بصحّة تلك المقدّمة ابتداءً". فهذا يدلّ على أنّ العقل قد يجزم بصحّة الفاسد جزماً[٤٦٠] ابتداءً. وإذا[٤٦١] كان الأمر كذلك، كان العقل غير مقبول القولِ في البديهيّات. وإذا كان كذلك، فحينئذٍ تفسد جميعُ الدلائل.

فإن قالوا: "العقل إنما جزَم بصحّة ذلك الفاسد لشبهةٍ متقدّمة"، فنقول: فقد[٤٦٢] حصل في تلك الشبهة المتقدّمة مقدّمةٌ فاسدةٌ. فإن كان جَزَم بها لشبهةٍ[٤٦٣] [م: ١٢٦أ] أخرى، لزم التسلسلُ. وإن كان ابتداءً، فقد توجّه الطعنُ.

---

[٤٥٤] سقطت من ل، س.

[٤٥٥] ل: بعينه.

[٤٥٦] ل: ضد.

[٤٥٧] ل: إحداها. م: إحدهما.

[٤٥٨] م: الآخر.

[٤٥٩] س: مقدمته.

[٤٦٠] سقطت من س.

[٤٦١] م: فإذا.

[٤٦٢] سقطت من س.

[٤٦٣] ل: بشبه.

الحجّة الثالثة

إنّا نرى الدلائل القويّة في بعض المسائل العقليّة متعارضةً؛ مثلَ مسألة[٤٦٤] الجوهر الفرد. فإنّا نقول: كلّ متحيِّزٍ، فإنّ يمينه غيرُ يساره؛ وكلّ ما كان كذلك، فهو منقسمٌ؛ ينتج أنّ كلّ متحيِّزٍ منقسِمٌ.

ثمّ نقول: الآنُ الحاضرُ غير منقسم؛ وإلاّ، لم يكن[٤٦٥] كلّه حاضراً، بل بعضه. وإذا كان غير منقسم، كان أوّلُ عدمه في آن آخَر متّصل بآن وجوده. فلزم تتالي الآنات. ويلزم منه كونُ الجسم مركّباً من الأجزاء التي لا تتجزّأ[٤٦٦].

فهذان الدليلان متعارضان. ولا نجد جواباً شافياً عن[٤٦٧] أحدهما. ونعلم أنّ أحد الكلامين شبهةٌ. فكان أحدُ الكلامين مشتملاً[٤٦٨] على مقدّمةٍ باطلةٍ؛ وقد جزَم العقلُ بصحّتها ابتداءً[٤٦٩]. فصار العقلُ مطعوناً[٤٧٠] فيه.

الحجّة الرابعة

إنّا إذا نظرنا وتأمّلنا واستقصينا، وحصل عقيبَ ذلك النظر اعتقادٌ، فعلمُنا بكون ذلك الاعتقاد علماً، إن كان ضروريّاً، فهو باطلٌ؛ لأنّه كثيراً ما أن[٤٧١] ينكشف

---

[٤٦٤] س: مسائل.

[٤٦٥] ل: يمكن.

[٤٦٦] م: أجزاء لا تتجزأ.

[٤٦٧] ل: من.

[٤٦٨] م: أحدهما ونعلم أنّ أحد الكلامين مشتملٌ.

[٤٦٩] س، م: ابدا.

[٤٧٠] ل: مظنونا.

[٤٧١] سقطت من س، م.

أنّ الحقّ بخلافه. وإن كان نظريّاً، افتقر إلى دليلٍ آخَر[٤٧٢]؛ ولزم التسلسلُ[٤٧٣]؛ وهو محالٌ.[٤٧٤]

[الوجوه التفصيليّة]

وأمّا الوجوه التفصيليّة[٤٧٥]، فنقول: الكلام إمّا[٤٧٦] أن يقع في الإلهيّات، أو في النبوّات، أو في المعاد. أمّا الكلام[٤٧٧] في الإلهيّات، فنقول: إنّا نشاهد هذه الأجرام العلويّة والسفليّة. فالعقل ها هنا يقول: هذه الأشياء إمّا أن يقال إنّه حصل لها مؤثّرٌ، أو لم يحصل لها مؤثّرٌ. وإن[٤٧٨] كان لها مؤثّرٌ، فالعقل يَعتبر حالَ ذلك المؤثّر، تارةً بحسب ذاته، وتارةً بحسب تأثيره في هذا العالم. أمّا [ل: ٢٦٨] الاعتبار الأوّل، فهو أنّ ذلك[٤٧٩] المؤثّر إمّا أن يكون حاصلاً[٤٨٠] في حيِّز وجهة، وإمّا أن لا [م:١٢٦ب] يكون. وأمّا [س: ١٣٨ب] الاعتبار الثاني، فهو أنّ ذلك المؤثّر إمّا أن يكون موجباً بالذات، وإمّا أن يكون فاعلاً مختاراً يفعل أفعالَه على وفق مصالح الخلق، وإمّا أن يكون فاعلاً مختاراً يفعل أفعالَه[٤٨١]، لكنّه لا يراعي مصالحَ الخلق.

---

[٤٧٢] سقطت من م.

[٤٧٣] س: آخر وتسلسل.

[٤٧٤] "الحجة الخامسة" زائدة في س.

[٤٧٥] سقطت من س.

[٤٧٦] سقطت من ل.

[٤٧٧] سقطت من م.

[٤٧٨] م: فإن.

[٤٧٩] سقطت من م.

[٤٨٠] سقطت من س.

[٤٨١] "على وفق مصالح الخلق وإما أن يكون فاعلاً مختاراً يفعل أفعاله" سقطت من س.

فنقول: أمّا الاعتبار الأوّل – وهو قول مَن ينفي المؤثِّر – فالقائلون بهذا القول يُحتمل أن يذهبوا إلى ثلاثة أنواع من[٤٨٢] الاحتمالات[٤٨٣]. الأوّل أن يقولوا[٤٨٤]: "هذه الأجسام واجبةُ الوجود لذواتها؛ فلا جرم كانت غنيّةً عن الفاعل". الثاني[٤٨٥]: "إنها – وإن لم تكن واجبة الوجود لذواتها – إلاّ إنّ الوجود بها أولى. فلأجل هذه الأولويّة، استغنت عن الفاعل." الثالث: "إنها محدَثةٌ؛ إلاّ أنّ المحدَث لا حاجة به إلى المؤثّر والفاعل[٤٨٦]".

و[٤٨٧] أمّا الاعتبار الثاني – وهو أنّ لها مؤثّراً[٤٨٨] موجِباً بالذات – فهذا على قسمين. لأنّه إمّا أن يجوز أن يصدر عن الواحد أكثرُ من الواحد، وإمّا أن لا يجوز. فالأوّل احتمالٌ ظاهرٌ؛ فيقال[٤٨٩] عنده: إنّه تعالى هو المؤثّر في وجود كلّ الممكنات على مراتبها الخاصّة المعيّنة. والثاني احتمالٌ ذهب إليه أكثرُ[٤٩٠] الفلاسفة، وتفاصيله[٤٩١] معلومةٌ.

وأمّا الاعتبار الثالث – وهو أنّ موجِد العالم فاعلٌ مختارٌ، وتكون أفعاله واقعةً على وجه الحكمة ومراعاةِ مصالحِ العباد – فهذا قولٌ قال به جمعٌ عظيمٌ من أهل العالم. إلاّ أنّه وقع عليه سؤالٌ: وهو أنّا نَرى العالَمَ مملوءاً من الآلام والآفات؛ فكيف يليق ذلك بالإله الرحيم؟ فلأجل هذا السؤال، افترق أهلُ العالم إلى مذاهب.

---

[٤٨٢] س: و.
[٤٨٣] م: الاحتمال.
[٤٨٤] س: يقول.
[٤٨٥] س: والثاني.
[٤٨٦] م: وللفاعل.
[٤٨٧] سقطت من س.
[٤٨٨] زيادة في س: و.
[٤٨٩] س: فنقول.
[٤٩٠] سقطت من م.
[٤٩١] ل، م: وتفاصيلهم.

فالمذهب الأوّل أنهم قالوا: "للعالم إلهان، أحدهما خيّرٌ فاضلٌ رحيمٌ، والثاني شرّيرٌ سفيهٌ مؤذٍ[٤٩٢]."

والمذهب الثاني أنهم قالوا: [م: ١٢٧أ] "العالم إنما حدث بسبب تعلُّقِ[٤٩٣] النفس بالهيولى. والنفس جاهلةٌ، وكان الأصلح أن لا تتعلّق النفسُ بالهيولى. إلاّ أنها لما تعلّقَت، فالإله الحكيم أوقَع ذلك [ل: ٢٦٩] التركيب على الوجه الأصلح الأصوب. فكلّ[٤٩٤] ما في هذا[٤٩٥] العالم من الخير والراحة[٤٩٦]، فهو من عناية الله. وكلّ ما فيه من الشرّ والآفة، فهو من جهل النفس."

المذهب الثالث قول المعتزلة؛ و[٤٩٧] هو أن كلّ ما وقع في العالم من الآلام والآفات، فإنّ الله يعوِّض[٤٩٨] عنها يومَ القيامة.

المذهب الرابع: أنّ خَلْق هذا العالم حَصَل فيه خيرٌ وشرٌّ؛ لكنّ الغالب هو الخير. وخَلْقُ الخيرِ خالياً عن الشرّ كان ممتنعاً بعينه[٤٩٩]. وتركُ الخيرِ الكثير لأجل الشرّ القليل شرٌّ كثيرٌ. فاقتضت الحكمةُ خلْقَ هذا[٥٠٠] العالم مع ما فيه من الشرور الكثيرة[٥٠١].

وأمّا الاعتبار الرابع — وهو أنّ لهذا العالم إلهاً فاعلاً مختاراً، لكنّه لا يراعي مصالحَ العباد ومنافعهم، [س: ١٣٩أ] بل تارةً يوصل النفعَ إليهم، وتارةً يوصل

---

[٤٩٢] ل: موذي.

[٤٩٣] ل: تولد.

[٤٩٤] م: وكل.

[٤٩٥] سقطت من ل، م.

[٤٩٦] م: الخيرات والراحات.

[٤٩٧] سقطت من م.

[٤٩٨] س: فانها يعرض.

[٤٩٩] م: لعينه.

[٥٠٠] سقطت من س.

[٥٠١] سقطت من م.

الضررَ إليهم؛ ويفعل ما يشاء من غير ضبط في المصالح والمفاسد — فهذا الاعتبار أيضاً على وجهين. الأوّل[٥٠٢]: الّذين أنكروا النبوّةَ والوعدَ والوعيدَ، و[٥٠٣] قالوا: "إنّه لا اعتماد على وعده ووعيده، ولا على طاعته ولا على[٥٠٤] معصيته"؛ وهم منكروا التكليف. والثاني: الذين[٥٠٥] أقرّوا بالنبوّات والتكاليف.

فهذه هي المذاهب التي ذهب إليها أهلُ العالم. ولنذكر ما[٥٠٦] في كلّ واحدٍ منها من المناقب والمعايب[٥٠٧].

أمّا الاعتبار الأوّل، وهو نفي المؤثّر أصلاً، فهذا[٥٠٨] أقبح الوجوه وأبعدها عن العقل والذوق. والطريق في إبطال هذا القول أن نقول: "هذه الأجسام [م: ١٢٧ب] ممكنةٌ[٥٠٩]؛ وكلّ ممكنٍ، فلا بدّ له من مؤثّرٍ". فهذا الكلام مبنيٌّ على هاتين المقدّمتين[٥١٠]. أمّا بيان أنّها ممكنةٌ، ففيه طريقان.

أمّا المتكلّمون، فيقولون: هذه الأجسام محدَثةٌ؛ وكلّ محدَث فهو ممكنٌ؛ وكلّ ممكنٍ فله مؤثّرٌ. أمّا بيان أنّ الأجسام محدَثةٌ، فلأنّها لو كانتً أزليّةً، لكانت[٥١١] في الأزل إمّا أن تكون[٥١٢] متحرّكةً، وإمّا[٥١٣] ساكنةً. ويمتنع كونها في الأزل[٥١٤]

---

[٥٠٢] زيادة في ل: أن.

[٥٠٣] سقطت من ل.

[٥٠٤] سقطت من س، م.

[٥٠٥] س: الذي.

[٥٠٦] سقطت من س.

[٥٠٧] م: المثالب.

[٥٠٨] س، م: فهو.

[٥٠٩] "وكل ممكنة" زائدة في ل.

[٥١٠] م: على مقدّمتين.

[٥١١] م: لكان.

[٥١٢] "أن تكون" سقطت من ل، س.

[٥١٣] م: أو.

[٥١٤] س: الأول.

متحرّكةً وساكنةً[٥١٥]؛ فيمتنع كونها أزليّةً. وهذا دليلٌ مشهورٌ، والكلام فيه معلومٌ.

وأمّا الفلاسفة، فقد بيّنوا إمكانَ العالم من وجوه. الأوّل أنّ أجسام العالم[٥١٦] كثيرةٌ؛ [ل: ٢٧٠] وواجب الوجود لا يكون أكثر من واحد. والثاني أنّ أجسام العالم وجودها غير ماهيّاتها[٥١٧]؛ وكلّ ما كان كذلك، فهو ممكنٌ لذاته. والثالث أنّ أجسام العالم منقسمةٌ إلى الأجزاء؛ وكلّ ما كان كذلك، فهو ممكنٌ لذاته[٥١٨]. وهذه الوجوه فيها مباحثاتٌ غائصةٌ غامضةٌ[٥١٩]، وقد قرّرناها في كتبنا الحقيقيّة[٥٢٠].

وأمّا أنّ كلّ ممكنٍ فله مؤثّرٌ، فتارةً تُدَّعى فيه البديهةُ، وتارةً يُدّعى فيه الاستدلالُ. وتمام الكلامِ فيه مذكورٌ في المطالب العالية،[٥٢١] وفي سائر الكتب.

وأمّا الاحتمال الثاني — وهو أنّ المؤثّر في العالم موجِبٌ بالذات — فتمام الكلام فيه مذكورٌ في المطالب العالية.[٥٢٢] ويتفرّع عليه أنّه هل يصدر عنه الكثيرُ، أو الحقّ[٥٢٣] أنّه لا يصدر عنه إلاّ الواحدُ؟ وتمام الكلام في هذين الاحتمالين مذكورٌ في المطالب العالية.[٥٢٤]

وأمّا الاحتمال الثالث — وهو إثبات الفاعل المختار الذي يفعل على وفق

---

[٥١٥] م: متحرّكة في الأزل وساكنة أيضاً.

[٥١٦] س: الأجسام.

[٥١٧] س، م: ماهيتها.

[٥١٨] "والثالث أن أجسام العالم منقسمة إلى الأجزاء وكلّ ما كان كذلك فهو ممكن لذاته" سقطت من س.

[٥١٩] "غائصة" سقطت من س. م: غامضة غائصة.

[٥٢٠] س: كتب الحقيقة.

[٥٢١] المطالب العالية، ١، ٧٤ — ٩٠.

[٥٢٢] المطالب العالية، ٣، ٧٧ — ١٠٠.

[٥٢٣] م: الكثير أو الواحد والحقّ أنّه.

[٥٢٤] المطالب العالية، ٤، ٣٧٣ — ٣٩٧.

الحكمة والمصلحة – فأوّل ما فيه أنّ هذا [م: ١٢٨أ] بناءٌ على أنّ الحُسنَ والقُبحَ[٥٢٥] معتبَران في أفعال الله وأحكامه؛ وهو في غاية الصعوبة، على ما بيّنّاه في المطالب العالية.[٥٢٦] ثمّ، بعد تسليمه، فإنّه يتفرّع عليه المذاهبُ الأربعة التي ذكرناها، وفي كلّ واحدٍ منها[٥٢٧] سؤالاتٌ و[٥٢٨] غوامضُ.

وأمّا الاحتمال الرابعُ – وهو [س: ١٣٩ب] إثبات الفاعل المختار الذي لا يراعي المصالحَ[٥٢٩]، بل يفعل كيف شاء وأراد – ففيه أيضاً غوامضُ ومباحثُ[٥٣٠] ومشكلاتٌ.

ثمّ بعد النـــزول عن هذه المقامات الأربعة، فهل يمكننا أن نقطع بأنّ[٥٣١] مدبِّر العالم بكلّيّته هو الله تعالى؟ أو يجوز أن يقال: ها هنا وسائطُ من الأرواح والأجسامَ و[٥٣٢] المدبِّرات، مع أنّ[٥٣٣] انتهاءَ الكلّ إلى تقدير الله وتخليقه؟ فهذا أيضاً مقامٌ صعبٌ عسِرٌ.

واعلم أنّك متى أحطتَ بهذه المقامات العالية والمقدّمات الرفيعة الشريفة، ووقفتَ على[٥٣٤] ما في كلّ واحدٍ منها من[٥٣٥] السؤالات المشكلة والاعتراضات الغامضة، علِمتَ أنّ المعرفة اليقينيّة صعبةٌ، وأنّ الجزم في كلّ بابٍ بحيث يكون

---

[٥٢٥] س: الحَسَن والقبيح.

[٥٢٦] المطالب العالية، ٣، ٣٠٥ – ٣٣٩.

[٥٢٧] سقطت من م.

[٥٢٨] سقطت من س.

[٥٢٩] س: مصالح.

[٥٣٠] سقطت من س.

[٥٣١] س: ان.

[٥٣٢] ل، م: أو.

[٥٣٣] سقطت من م.

[٥٣٤] سقطت من س.

[٥٣٥] س: في.

خالياً عن المِرية[٥٣٦] والاضطراب عزيزٌ. وإذا كان الأمر[٥٣٧] كذلك، فالشوق شديدٌ، والحرمان غالبٌ، والآلة ضعيفةٌ، والمطلوب قاهرٌ.

[خاتمة]

وإذا وقفتَ[٥٣٨] على هذه [ل: ٢٧١] الأحوال، صارت اللذّات الحسيّة خسيسةً[٥٣٩]، واللذّات الخياليّة مستحقَرةً. وأمّا اللذّات العقليّة، فلا سبيل إلى الوصولِ إليها، والقُربِ[٥٤٠] منها، والتعلّقِ بها[٥٤١]. فلهذه الأسباب نقول: ليتنا[٥٤٢] بقينا على العدم [م:١٢٨ب] الأوّل! و ليتنا ما شاهدنا هذا العالَم! وليت النفس لم تتعلّق بهذا البدن! وفي هذا المعنى قلتُ:

نهايةُ أقدامِ العـقول عـِقالُ وأكـثرُ سعي العالَـمين ضلالُ
وأرواحنا فِي وحشةٍ مِن جُسومنا وحاصلُ دنـيانـا أذىً ووبـالُ
ولم نستفد مِن بحثنا طولَ عمرنا سوى أن جمَعنا فيه قيلَ وقـالوا
وكم قد رأينا مِن رجالٍ ودولةٍ فبادوا جميعاً مسرعـين وزالـوا[٥٤٣]
وكم مِن جبالٍ قد عَلَت شرفاتِها رجـالٌ فزالوا والجـبالُ جبـالُ[٥٤٤]

---

[٥٣٦] المِرية والمُرية: الشك والجدل.
[٥٣٧] سقطت من ل.
[٥٣٨] س: وقعت.
[٥٣٩] سقطت من س.
[٥٤٠] س: والتقرب.
[٥٤١] "والتعلق بها" سقطت من س.
[٥٤٢] م: يا ليتنا.
[٥٤٣] س: فزالوا.
[٥٤٤] من البحر الطويل.

واعلم أني بعد التوغّل في هذه المضائق، و[٥٤٥] التعمّق في الاستكشاف عن أسرار هذه الحقائق، رأيتُ الأصوبَ الأصلحَ في هذا الباب طريقةَ القرآن العظيم والفرقان الكريم، وهو تركُ التعمّقِ والاستدلالِ بأقسامِ أجسامِ السموات والأرضين على وجود ربّ العالمين، ثمّ المبالغة في[٥٤٦] التعظيم من غيرِ خوضٍ في التفاصيل. فأقرأ في التنـــزيه قولَه[٥٤٧]، "اللهُ الغَنيُّ وَأَنتُمُ الفُقَرَاءُ"؛[٥٤٨] وقولَه، "لَيسَ كَمثله شَيءٌ"؛[٥٤٩] وقولَه، "قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ". وأقرأ في الإثبات، "الرَحمَنُ عَلَى العَرشِ استَوَى"؛[٥٥٠] وقولَه، "يَخَافُونَ رَبَّهُم من فَوقهم"؛[٥٥١] وقولَه، "إِلَيه يَصعَدُ الكَلِمُ الطَيِّبُ".[٥٥٢] وأقرأ [س: ١٤٠أ] في أَنّ الكلَّ من الله قولَه، "قُلْ كُلٌّ من عند الله".[٥٥٣] وفي تنـــزيهه[٥٥٤] عمّا لا ينبغي قولَه، "مَا أَصَابَكَ من حَسَنَةٍ فَمنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ من سَيِّئَة فَمن نَفسكَ".[٥٥٥] وعلى هذا القانون، فقسْ.

وأقول من صميم القلب، ومن داخل [م: ١٢٩أ] الروح[٥٥٦]: إني مقرٌّ بأنّ كلّ ما كان[٥٥٧] هو الأكمل الأفضل الأعظم الأجلّ فهو لك، وكلّ ما فيه عيبٌ أو[٥٥٨]

---

[٥٤٥] "المضائق و" سقطت من س.

[٥٤٦] س: و.

[٥٤٧] زيادة في م: تعالى.

[٥٤٨] محمد ٣٨.

[٥٤٩] الشورى ١١.

[٥٥٠] طه ٥.

[٥٥١] النحل ٥٠.

[٥٥٢] فاطر ١٠.

[٥٥٣] النساء ٧٨.

[٥٥٤] س: التتريه.

[٥٥٥] النساء ٧٩.

[٥٥٦] س: داخل الروح وصميم القلب.

[٥٥٧] سقطت من س، م.

[٥٥٨] م: و.

نقصٌ فأنت منـــزّهٌ عنه. ومقرٌّ بأنّ عقلي وفهمي[٥٥٩] قاصرٌ عن الوصول إلى كُنهِ حقيقةِ ذرّةٍ من ذرّاتِ مخلوقاتك. ومقرٌّ بأني ما مدحتُك بما يليق بك؛ لأنّ المدائح محصورةٌ في نوعين. إمّا في شرحِ صفات الجلال، وهو[٥٦٠] تنـــزيه اللهِ عمّا لا ينبغي؛ وإمّا في شرحِ صفات الإكرام[٥٦١]، وهو وصفُ اللهِ بكونه خالقاً لهذا العالم. أمّا الأوّل، ففيه سوءِ أدب من بعض الوجوه؛ لأنّ الرجل إذا قال [ل: ٢٧٢] للسلطان: "أنت لستَ بأعمى، ولستَ بأصمّ ولا بأبرص"، فإنّه يَستوجب[٥٦٢] الزجرَ والحجرَ. وأمّا الثاني، ففيه سوء أدب؛ لأنّ جميع كمالات المخلوقات بالنسبة إلى كمال الخالق نقائص؛ فشرحُ كمالِ الخالق بنِسَبٍ إضافيّةٍ[٥٦٣] إلى المخلوق[٥٦٤] سوءُ أدب.[٥٦٥]

فيا ربِّ العزّة! إني[٥٦٦] مقرٌّ بأني لا أقدر على مدحك إلاّ من أحد هذين الطريقين. ومقرٌّ بأنّ كلّ واحدٍ منهما لا يليق بجلالك وبعزّتك. ولكني كالمعذور؛ حيث[٥٦٧] لا أعرف شيئاً سواه، ولا أهتدي إلى ما هو أعلى منه.

فأسألك[٥٦٨] بوجوب وجودك، وكمال جودك، وهُويّة ألوهيّتك، وكمال صمديّتك، وبتلك الحقيقة التي لا يعرفها أحدٌ إلاّ أنت، وبتلك الكمالات التي لا يعرفها أحدٌ إلاّ أنت، أن تعفو عني في[٥٦٩] كلّ ما أخطأتُ، وأن تقبل مني

---

[٥٥٩] س: فهمي وعقلي.
[٥٦٠] ل: فهو.
[٥٦١] س: الالتزام.
[٥٦٢] س: فانتم يستوجبوا.
[٥٦٣] س، ل، م: بسبب إضافته.
[٥٦٤] م: المخلوقات.
[٥٦٥] قارن: التفسير الكبير، ١، ١٢٥.
[٥٦٦] س: انا.
[٥٦٧] سقطت من س.
[٥٦٨] س: واسالك.
[٥٦٩] سقطت من ل.

كلَّ ما ارتضيتَه مني من الأعمال التي أتيتُ بها [م: ١٢٩ب] بمددِ توفيقك و[٥٧٠] برحمتك[٥٧١] وفضلك، يا أرحم الراحمين![٥٧٢]

كتبتُ من أوّل الرسالة، إلى أوّل باب ذمّ اللذّات الخياليّة، في بلدة هراة. وكتبتُ إلى آخره في بلدة خوارزم في دار السلطان، في آخر الرابع عشر من شعبان — خُتم بالروح والراحة والريحان — سنة أربع وستمئة.[٥٧٣]

---

[٥٧٠] سقطت من ل.

[٥٧١] م: ورحمتك.

[٥٧٢] ل: قال المصنف رحمه الله. س: وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين. م: وصلّى الله على سيّد الخلائق محمّد وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

[٥٧٣] "كتبت من ... أربع وستمئةً" في ل فقط.

APPENDIX

RISĀLAT DHAMM LADHDHĀT AL-DUNYĀ

The Manuscripts and the Critical Edition

I have been able to locate seven manuscripts of al-Rāzī's *Risālat Dhamm ladhdhāt al-dunyā*, of which I have been able to have access to five. Two others are currently inaccessible (assuming they have survived contemporary devastation in Baghdad and Kabul). The following are brief descriptions of the manuscripts used, along with the abbreviations for those used in the edition.

1. Berlin State Library, Petermann II, 10 (pp. 244–72):[1]

Title: *Risālat Dhamm ladhdhāt al-dunyā.*
Dimensions: 18.5 × 14.2; 16.6 × 11.8 cm. 19–20 lines.
Dated: Friday, 12 Dhū al-Ḥijja 610 A.H. (1214).
Copyist: Ṭufayl Ibn Muṭahhar Ibn Abī Saʿīd al-Faḍlī al-Ṭafīlī.
Handwriting: *naskh.*
Abbreviation: ل.

Beginning:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الواحد الأحد ...

End:

تمّ كتاب ذمّ لذّات الدنيا، تصنيف الإمام فخر الدين محمّد بن عمر بن الحسين الرازي رحمه الله، على يد طُفيل بن مُطَهَّر الفَضليّ، يوم الجمعة الثاني عشر من ذي الحجّة سنة عشرٍ وستمئةٍ. اللهمّ اغفر لكاتبه ولوالديه، آمين.

[1] W. Ahlwardt, "Die Handschriften–Verzeichnisse der Königlichen Bibliothek zu Berlin, XVI", p. 25, no. 5426. This is the only MS of this work listed by Brockelmann (*GAL* I, 669).

2. Princeton University Library, Garret (Yahuda section) 308 (fol. 130b–142a):[2]

Title: *Kitāb Taḥqīr al-ladhdhāt.*
Dimensions: 24 × 18; 17.8 × 11.8 cm. 23 lines.
Dated: 677 A.H. (1278–9).
Handwriting: *naskh.*
Abbreviation: س.

Beginning:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله ربّ العالمين. والصلاة على أفضل خلقه في السماوات العلى، وتحت الأرضين السفلى، خصوصاً على محمّدٍ وآله، نبيّ الرحمة، وإمام العصمة والكرامة. أمّا بعد. فقد سألتني …

End:

… يا أرحم الراحمين. وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين. تمّ كتاب تحقير اللذات، للإمام فخر الدين الرازي رحمه الله. قُوبِل الكتابُ.

3. Marʿashī-Najafī Library 4416(3) (fol. 110b–129b):[3]

Title: *Al-Ladhdhāt.*
Dimensions: 15 × 20.5; approx. 9.5 × 16.1 cm. 19–22 lines.
Dated: 731 A.H. (1331).
Copyist: Najm al-Dīn Abū Bakr Ibn ʿAbd al-Wahhāb Dahistānī.
Handwriting: *naskh.*
Abbreviation: م.

Beginning:

بسم الله الرحمن الرحيم. قال مولانا أستاذ الدنيا، علاّمة الورى، أفضل المتقدِّمين والمتأخِّرين، خاتم المجتهِدين، الداعي إلى الحقّ، حجّة الله على الخلق، فخر الحقّ والملّة والدين، أبو عبدَ الله محمّد بن عمر بن الحسين الرازي، قدَّس الله روحَه العزيز: الحمد لله الواحد الأحد …

---

[2] R. McChesney, *Catalogue of Arabic Manuscripts*, 213, no. 2486.
[3] M. Marʿashī, *Fihrist nuskhehā-ye khaṭṭī*, 12, 17.

End:

... يا أرحم الراحمين. وصلّى الله على سيّد الخلائق محمّدٍ وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

4. Marʿashī-Najafī Library 286(26) (fol. 247b–255b):[4]

Title: *Taḥqīr al-ladhdhāt.*
Dimensions: 18 × 27.5; 11 × 13.5 cm. 27 lines.
Dated: 1072 A.H. (1662).
Copyist: Shāh Murād Farāhānī.[5]
Handwriting: *nastaʿlīq*.

Beginning:

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله ربّ العالمين. والصلاة على أفضل خلقه في السماوات العلى، وتحت الأرضين السفلى، خصوصاً على محمّدٍ وآله، نبيّ الرحمة، وإمام العصمة والكرامة. أمّا بعد. فقد سألتني ...

End:

... يا أرحم الراحمين. وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين. تمّ كتاب تحقير اللذات للإمام فخر الدين الرازي رحمه الله.

5. The British Library, I.O. (India Office Library) Islamic 3832 (fol. 85b–95b):[6]

Title: *Kitāb Taḥqīr al-ladhdhāt.*
Dimensions: 27.7 × 14.8; 19.5 × 8.5 cm. 21 lines.
Dated: 1063 A.H. (1653).
Handwriting: exquisite *nastaʿlīq*.

---

[4] M. Marʿashī, *Fihrist nuskhehā-ye khaṭṭī*, 1, 322–3.

[5] Dating and copyist: Marʿashī, *Fihrist nuskhehā-ye khaṭṭī*, 1, 333.

[6] P. Stocks, *Subject Guide*, 217. The Library, I was informed, has no other record of the MS (despite the reference in the *Subject Guide* to a handwritten entry). The MS bears an India Office stamp dating to 1913.

Beginning:

كتاب للفخر الرازي في جواب أسئلة أحوال اللذات المطلوبة في الدنيا والكشف عن حصر أقسامها وبيان ما فيها من الخيرات والراحات والآفات والمخافات. بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله ربّ العالمين. والصلاة على أفضل خلقه في السماوات العلى، وتحت الأرضين السفلى، خصوصاً على محمّدٍ وآله، نبيّ الرحمة، وإمام العصمة والكرامة. أمّا بعد. فقد سألتني ...

End:

... يا أرحم الراحمين. وصلّى الله على سيدنا ونبينا وشفيع جميع ذنوبنا ودافع همومنا محمد وآله الطيبين الطاهرين. تمّت الكتاب تحقير اللذات للإمام فخر الدين الرازي عليه الرحمة والمغفرة.

The two other manuscripts located are:

6. Al-Qādiriyya Library (Baghdad) 654(3) (fol. 19–27), entitled *Risālat Dhamm ladhdhāt al-dunyā*.[7]

7. Riʾāsat al-Maṭbūʿāt Library (Kabul) 87, entitled *Risāla fī l-ladhdhāt al-maṭlūba fī l-dunyā*.[8]

For the edition, MSS 1, 2 and 3 are used. The variants among them are numerous, but generally minor. MSS 4 and 5 appear to be copied, or derived from, MS 2, and do not improve the text in any way. On the other hand, MSS 1 and 3 have much in common, and probably have a common source; yet neither could be derived from the other.

In this edition, the text is corrected in accordance with modern conventions for spelling, without note of the original spelling in the manuscripts. For example, ثلثة is changed to ثلاثة; هوآ to هواء; رياسة to رئاسة; ههنا to ها هنا; and حيوة to حياة. Nunation and some diacritical marks have been added where needed.

[7] I. Rauf, *Al-Āthār al-Khaṭṭiyya*, 3, 13–4.

[8] P. De Beaurecueil, "*Al-Makhṭūṭāt al-ʿArabiyya fī Afghānistān*", 20.

The Title

The epistle is given the following titles in manuscripts and later external references:

1. *Dhamm ladhdhāt al-dunyā* (*Censure of the Pleasures of This World*).[9]
2. *Risāla fī Dhamm al-dunyā* (*Censure of This World*).[10]
3. *Taḥqīr al-ladhdhāt* (*Degrading Pleasures*).[11]
4. *Risāla fī l-ladhdhāt al-maṭlūba fī l-dunyā* (*On the Pleasures Sought in This World*).[12]
5. *Aqsām al-ladhdhāt* (*Divisions of Pleasure*).[13]

The fourth and fifth titles appear to be taken directly from the epistle's introduction and describe its contents superficially. In my opinion, the first title appears most authentic. It describes the work's main parts and conclusions, without being simply drawn from its introduction. It also agrees with the author's description of the second section as "the section on the censure (*dhamm*) of imaginary pleasures", in his final note in the work, preserved only in the Berlin MS. The second title seems to be a shortened version of the first.

Finally, al-Rāzī refers to the work loosely both as a book (*kitāb*) and as an epistle (*risāla*).[14]

---

9 The Berlin MS; and the Baghdad MS catalogue entry.

10 Al-Qifṭī, *Akhbār*, 192; al-Ṣafadī, *Wāfī*, 4, 255; Ibn Abī Uṣaybiʿa, *ʿUyūn*, 2, 29.

11 The Princeton MS; the British Library MS; and the Marʿashī-Najafī 286 MS. All, however, share a common source.

12 The Kabul MS catalogue entry.

13 Ibn Taymiyya (e.g. *Darʾ*, 1, 159) and Ibn Qayyim al-Jawziyya (*Ijtimāʿ*, 120). However, both almost certainly used the same manuscript.

14 *Dhamm al-ladhdhāt*, 3; 44.